حقيقة التوحيد

والفروق بين

الربوبية والألوهية

تأليف

د. علي بن نفيع العلياني

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

قسم العقيدة

دار الوطن

حقيقة التوحيد

والفروق بين

الربوبية والألوهية

تأليف

د. علي بن نفيع العلياني

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

قسم العقيدة

دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الوطن للنشر الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩ - ص.ب: ٣٣١٠ - الرمز البريدي: ١١٤٧١

مقدمــة

اللهم إني أحمدك حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه ملء السماوت وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد (١) .

وأصلي وأسلم على جميع رسل الله الداعين إلى توحيد الله على بصيرة، وأشهد أنهم قد بلغوا رسالات ربهم، وأن خاتمهم محمداً ﷺ قد وضّح توحيد الله غاية الإيضاح، وأن الوحيين الكتاب والسنة اللذين بلغنا إياهما رسول الله ﷺ قد حوَيَا طريق الهداية إلى الحق ﴿ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ﴾(٢) ورحم الله الإمام البخاري حيث ابتدأ كتابه الصحيح بكيف بدأ الوحي؛ لأنه يعلم أن الوحي هو أصل الدين ونهايته وأن طريقه هو طريق العلم الصحيح .

والذين يسلكون طريق الوحي لتحصيل العلم الشرعي تنكشف أمامهم الحقائق، ولذا فإن الأمة الإسلامية الفطرية التي رباها رسول الله ﷺ - من صحابته الكرام - خلت من الشبه والشكوك في مسائل العقيدة، ولما جاء صبيغ بن عسل بالتشكيك همَّ عمر بن الخطاب بقتله وضربه ضربًا موجعًا بعراجين النخل على رأسه . وكان منهج هذا المتشكك أمراً غريبًا على

---

(١) بعض هذا الدعاء قاله أحد الصحابة في رفعه من الركوع فقال الرسول ﷺ : **«رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول»** صحيح البخاري ١/ ١٩٣ .

(٢) سورة سبأ، الآية : ٥٠ .

المجتمع الإسلامي حتىٰ أن الناس قاطعوه فلم يكلمه أحد ولم يجالسه أحد .

وقد سارت الأمة الإسلامية علىٰ منهجين قويمين في صد باطل أهل البدع في الدين :

المنهج الأول : قمعهم بعصا الحق وسيف الحق كقصة عمر هذه وتحريق علي بن أبي طالب للزنادقة، وقتل خالد القسري للجعد بن درهم رأس البدعة والضلالة .

والمنهج الثاني : بيان بطلان البدعة ومخالفتها لنصوص الوحي وتوضيح الحق للناس وهجر أهل البدع كموقف عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وعمر بن عبدالعزيز من القدرية وكموقف أئمة السنة كالبخاري وأحمد بن حنبل والشافعي ومالك من أهل التجهم والاعتزال والرفض والتصوف .

فما هو إلا الوحي أوحد مرهف ... يقيم ضباه أخدعي كل مائـــل

فهذا دواء الداء من كل جاحـد ... وذاك دواء الداء من كل جاهل

أمَا وعراجين عمر بن الخطاب وسيف خالد القسري لا نراها تلوح في الأفق اليوم فلا أقل من السير في ركاب البخاري وابن حنبل وتلك الكوكبة التي نصرت الحق وأزهقت البدعة بأقلامها .

وبحكم تخصصي في العقيدة رأيت أن أكثر أهل البدع روجوا باطلهم باسم التوحيد؛ فالخوارج قاموا ببدعهم حفاظًا علىٰ توحيد الحاكمية ـ زعموا ـ والجبرية باسم توحيد الله في أفعاله، والمعتزلة أنكروا الصفات باسم التوحيد وسموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، وأهل الخرافة أنكروا توحيد الألوهية لئلا يختلط غيره في زعمهم، وأهل وحدة الوجود نشروا زندقتهم باسم

التوحيد، فأردت أن أسهم بجهد المقل في إيضاح حقيقة التوحيد من الكتاب والسنة وكيف فهم الرعيل الأول التوحيد وعملوا به، وأدحض شبه الملبسين على الناس في باب التوحيد الذين اتخذوا من تقسيمات التوحيد عند ابن تيمية وغيره من العلماء مجالاً للتشكيك في صحة وجودها في القرآن والسنة .

وقد قسمت البحث إلى بابين وخاتمة :

الباب الأول بعنوان حقيقة التوحيد، وتحته أربعة فصول :

الفصل الأول : التوحيد في اللغة .

الفصل الثاني : التوحيد في القرآن الكريم .

الفصل الثالث : التوحيد في سنة المصطفى ﷺ .

الفصل الرابع : التوحيد في فهم السلف الصالح .

وأما الباب الثاني فهو بعنوان: **أقسام التوحيد ودحض شبه الملبسين**، وتحته ثلاثة فصول :

الفصل الأول : أقسام التوحيد عند الانفراد والخلو من القرينة .

الفصل الثاني : أقسام التوحيد عند الاقتران أو وجود القرينة .

الفصل الثالث : دحض شبه الملبسين.

والخاتمة في أهم النتائج، وذيلت البحث بفهرس للمراجع وفهرس للموضوعات .

هذا وقد حاولت الاختصار قدر الطاقة لئلا تضيع الحقيقة الناصعة بين

كثرة التفريعات، ولأنني أعتبر كتابي هذا كتابًا مجملاً أقتصر على الأساسيات فقط، وإن جعل الله في العمر فسحة وفي الهمة نشاطًا سوف أقوم بشرحه شرحًا مفصلاً وإلا فلعل عبدًا من عباد الله الصالحين يقوم بذلك ونشترك أنا وإياه في الأجر إن شاء الله . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين .

كتبه / علي بن نفيع العلياني

في مكة المكرمة بتاريخ

١٤١٨/٩/١٦هـ

الباب الأول

حقيقة التوحيد

الفصل الأول : التوحيد في اللغة .

الفصل الثاني : التوحيد في القرآن الكريم .

الفصل الثالث : التوحيد في سنة المصطفى ﷺ .

الفصل الرابع : التوحيد في فهم السلف الصالح .

الفصل الأول

التوحيد في اللغة

الفصل الأول

التوحيد في اللغة

قال ابن فارس: (الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد)[١]، **وقال الجوهري:** (الوحدة الانفراد، تقول: رأيته وحده، وهو منصوب عند أهل الكوفة على الظرف وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال كأنك قلت: أوحدته برؤيتي إيحاداً أي لم أر غيره، ثم وضعت وحده هذا الموضع، **وقال أبو العباس:** يحتمل أيضاً وجهاً آخر وهو أن يكون الرجل في نفسه منفرداً كأنك قلت: رأيت رجلاً منفرداً، ثم وضعت وحده موضعه ولا يضاف إلا في قولهم: فلان نسيج وحده . . . كأنك قلت: نسيج إفراد، فلما وضعت وحده موضع مصدر مجرور جررته . . . ويقال وحّده وأحّده كما يقال: ثناه وثلثه، ورجل وَحَد ووَحِد ووحيد أي منفرد، وتوحّد برأيه تفرد به. . . وفلان واحد دهر أي لا نظير له)[٢].

وقال الأزهري: (قال الليث: الوحد المنفرد . . . ونقل عن الفراء قوله: التوحيد بالإيمان بالله وحده لا شريك له والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد. ونقل عن أبي العباس أنه سئل عن الآحاد أهي جمع الأحد؟ فقال: معاذ الله، ليس للأحد جمع ولكن إن جعلته جمع الواحد فهو محتمل شاهد وأشهاد، **وقال أبو إسحاق النحوي:** الأحد أصله الوحد، وقال غيره: الفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بُني لنفي ما يذكر معه من العدد،

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦/ ٩٠ .

(٢) الصحاح للجوهري ٢/ ٧٤٥ .

والواحد اسم لمفتتح العدد . . . والواحد بني على انقطاع النظير وعوز المثل والوحيد بني على الوحدة والانفراد، **وقال الأزهري:** وأما اسم الله جل ثناؤه أحد فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره، لا يقال: رجل أحد ولا درهم أحد، كما يقال رجل وحد أي فرد لأن أحداً صفة من صفات الله التي استأثر بها فلا يشركه فيها شيء . . . والواحد في صفة الله معناه: أنه لا ثاني له، يجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد فأما أحد فلا يوصف به غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه)[١] .

وتوسع ابن منظور: في نقل الشواهد والأمثلة وإن كان زبدة كلامه لم يخرج عما ذكرت فيما يتعلق بالتوحيد[٢]، وحاصل ما تقدم أن كلمة وحد مصدر للفعل توحّد كما قال أبو عبيد، **وقال البصريون:** إنما نصبوا وحده على مذهب المصدر أي توحّد وحده، **وقال أصحابنا** : إنما النصب على مذهب الصفة، **قال أبو عبيد:** وقد يدخل فيه الأمران جميعاً [٣] .

وأن التوحيد مشتق من الفعل وحّد بالتشديد أي جعله واحداً، وهذا الجعل يكون على معنى التسمية كما قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**﴾[٤]، يعني سموهم إناثًا . ويكون الجعل فعلاً من أفعال الناس كما قال الله تعالى: ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم**﴾[٥] ، فعلى هذا يكون العبد الموحد هو الذي سمى الله واحداً بلسانه وتلفظ بما يدل على

---

(١) تهذيب اللغة ٥/ ١٩٢ ـ ١٩٨ .

(٢) لسان العرب ٣/ ٤٤٦ وما بعدها .

(٣) تهذيب اللغة، ص ١٩٩ .

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩ .

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩ .

التوحيد، ويكون قد فعل التوحيد باعتقاده وقصده وإرادته وجوارحه، وأما قول صاحب لوامع الأنوار البهية : (التوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل، فمعنى وحدت الله : نسبت إليه الوحدانية لا جعلته واحدًا فإن وحدانية الله تعالى ذاتية ليست بجعل جاعل)[١]، فهذا القول يحتاج إلى تحرير، فقوله : (نسبت إليه الوحدانية) فهذه النسبة إنما هي عمل يقوم باللسان وقصد العبد ربه بالأعمال إنما هو عمل يشترك فيه القلب والجوارح، وإنما الجعل المنفي عن الله إنما هو جعل بمعنى خلق، فالعبد لا يخلق الله واحدًا، وإنما يجعله بمعنى يسميه ويعتقده ويقصده وحده مثل قوله : ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾[٢]، وجعل لها معان كثيرة انظرها في رد الإمام أحمد على الزنادقة والجهمية .

ويقول قوام السنة[٣] : (التوحيد على وزن التفعيل وهو مصدر وحدته توحيدًا كما تقول كلمته تكليمًا، وهذا النوع من الفعل يأتي متعديًا إلا أحرفًا جاءت لازمة . . . ولهذا الفعل معنيان :

أحدهما : تكثير الفعل وتكريره والمبالغة فيه كقولهم : كسّرت الإناء وغلّقت الأبواب وفتّحتها .

والوجه الثاني : وقوعه مرة واحدة كقولهم : غديت فلان وعشيته وكلمته، ومعنى وحدته جعلته منفردًا عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته . والتشديد فيه للمبالغة أي بالغت في وصفه بذلك . . . وتقول

---

(١) لوامع الأنوار البهية، ص٥٦ .

(٢) سورة النحل، الآية : ٩١ .

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن علي أبو القاسم الطلحي الأصبهاني، كان إمامًا في الحديث والتفسير واللغة حافظًا متقنًا ، ت عام ٥٣٥ هـ، انظر : البداية والنهاية ١٢/ ٢١٧ .

العرب: واحد وأحد ووحد ووحيد أي منفرد، فالله تعالىٰ واحد أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال. فقولهم: وحدت الله من باب عظمت الله وكبرته أي علمته عظيمًا وكبيرًا فكذلك وحدته أي علمته واحدًا منزهًا عن المثل في الذات والصفات، قال بعض العلماء: التوحيد نفي التشبيه عن الله الواحد) (١).

* * *

(١) الحجة في بيان المحجة لقوّام السنة ١/ ٣٠٥.

الفصل الثاني

التوحيد في القرآن الكريم

الفصل الثاني
التوحيد في القرآن الكريم

لقد جاءت آيات كثيرة تدل على توحيد الله وتفرده عن جميع خلقه بأساليب متنوعة، وهي كثيرة جدًا وسوف أقتصر على ذكر أمثلة منها :

١) ما يدل على توحيد الله بالعبادة وقصرها عليه سبحانه وحصرها فيه:

قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١) .

وقال : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾(٢) .

وقال : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٣) .

وقال : ﴿ الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾(٤) .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾(٥) .

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ٦٤ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة التوبة، الآية : ٣١ .

(٤) سورة هود، الآيتان : ١ ـ ٢ .

(٥) سورة الرعد، الآية : ٣٦ .

وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(١).

وقال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٣).

وقال: ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾(٤).

وقال: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾(٥).

وقال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾(٦).

٢) ما يدل على نفي الشراكة عن الله سبحانه التي تناقض التوحيد:

قال تعالىٰ: ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾(٧).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦ .
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣ .
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥ .
(٤) سورة فصلت، الآية: ١٤ .
(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٢١ .
(٦) سورة البينة، الآية: ٥ .
(٧) سورة الكهف، الآية: ٣٨ .

وقال : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (٣) .

٣) ما يدل على حصر الأسماء الحسنى وقصرها على الله ونفي المماثلة عنها مما يقرر تفرد الله سبحانه بالكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد من خلقه :

قال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٦) .

وقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٧) .

وقال : ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨) .

وقال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ (٩) .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٥١ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٤٨ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٩ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ١٨٠ .

(٥) سورة طه، الآية : ٨ .

(٦) سورة مريم، الآية : ٦٥ .

(٧) سورة الشورىٰ، الآية : ١١ .

(٨) سورة النحل، الآية : ٧٤ .

(٩) سورة الإخلاص، الآيات : ١ ـ ٤ .

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[1].

٤) ما يدل على تفرد الله بالألوهية وتوحيده بها وأنها لا تجوز لأحد غيره سبحانه:

قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[2].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[3].

وقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[4].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[5].

وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[6].

وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[7].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٤.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٣.
(٣) سورة ص، الآية: ٦٥.
(٤) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٥) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٦) سورة الإسراء، الآيتان: ٤٢ ـ ٤٣.
(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

٥) ما يدل على تفرد الله بالربوبية وتوحيده بها :

قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(١) .

وقال : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾(٢) .

وقال : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٣) .

وقال : ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾(٤) .

وقال : ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾(٥) .

وقال : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾(٦) .

٦) ما يدل على تفرد الله بالإيمان وحده :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ

---

(١) سورة الفاتحة، الآية : ٢ .

(٢) سورة الرعد، الآية : ١٦ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٦٤ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ١٣٩ .

(٥) سورة الأنبياء، الآية : ٥٦ .

(٦) سورة يوسف، الآية : ٣٩ .

﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾(١) .

وقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾(٢) .

وقال سبحانه عن الموحدين أولي الألباب الرجيحة : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾(٣) .

وقال : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٤) .

وقال : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٥) .

٧) ما يدل على أن الإسلام يكون له وحده :

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٦) .

---

(١) سورة غافر، الآيتان : ٨٤ ـ ٨٥ .
(٢) سورة الممتحنة، الآية : ٤ .
(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٩٣ .
(٤) سورة الأنعام، الآية : ٨٢ .
(٥) سورة المائدة، الآية : ٥ .
(٦) سورة غافر، الآية : ٦٦ .

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾(١).

وقال: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾(٢).

وقال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾(٣).

٨) ما يدل على أن الدين يكون له وحده :

قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾(٤).

وقال: ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾(٥).

وقال: ﴿ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾(٦).

وقال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا له الدين ﴾(٧).

وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(٨).

وقال: ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾(٩).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٨ .
(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٢ .
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩ .
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٣ .
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٩ .
(٦) سورة يوسف، الآية: ٤٠ .
(٧) سورة الزمر، الآية: ٢ .
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٨٥ .
(٩) سورة الزمر، الآية: ٣ .

٩) ما يدل على تفرده سبحانه بالولاية :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٣) .

١٠) ما يدل على تفرده بالحكم وتوحيده به :

قال تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٦) .

وقال : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ﴾ (٧) .

١١) ومما ذكره الله مما يدل على توحيده تفرده بالخلق والملك والتدبير والرزق والإحياء والإماتة وملك النفع والضر، والأدلة على هذا المطلب عظيمة كثيرة لا تخلو منها سورة من القرآن :

قال سبحانه : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨) .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٠٧ .

(٣) سورة الفرقان، الآية : ١٨ .

(٤) سورة يوسف، الآية : ٦٧ .

(٥) سورة الأنعام، الآية : ٥٧ .

(٦) سورة المائدة، الآية : ٤٤ .

(٧) سورة الأنعام، الآية : ١١٤ .

(٨) سورة الأعراف، الآية : ٥٤ .

وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١).

وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

وقال: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٣).

وقال: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾(٤).

١٢) ومما ذكره الله مما يدل على توحيده أن جميع المعبودات ناقصة فهي عاجزة عن نفع نفسها فضلاً عن غيرها ولا تملك لنفسها حياة ولا موتًا ولا رزقًا بل هي محتاجة فقيرة:

قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ

---

(١) سورة الملك، الآية: ١ .

(٢) سورة يونس، الآية: ٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧ .

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٥ .

فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ ﴾ (١) .

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (٢) .

وقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) .

وقال: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (٤) .

وقال: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٩١ ـ ١٩٥ .
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٣ .
(٣) سورة العنكبوت، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢ .
(٤) سورة فاطر، الآيتان: ١٣ ـ ١٤ .
(٥) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣ .

١٣) ومما ذكره الله تعالى من الآيات الدالة على توحيده تفرده بالنعم الظاهرة والباطنة على الخلق أجمعين :

كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات : ٣٢ ـ ٣٤ .

(٢) سورة النحل، الآيات : ١٣ ـ ٢٢ .

١٤) ما ذكره الله من الأدلة الأفقية والنفسية التي تظهر توحيده سبحانه :

كما قال عز وجل : ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾(١) .

وقال : ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(٢) .

وقال : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٣) .

١٥) ما ذكره الله من الأدلة على نصر أوليائه وإهلاك أعدائه وبيان عاقبة كل من الفريقين مما يظهر توحيد الله على حقيقته :

قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ

---

(١) سورة الجاثية، الآيات : ٣ ـ ٦ .
(٢) سورة الذاريات، الآيتان : ٢٠ ـ ٢١ .
(٣) سورة الروم، الآيات : ٢٠ ـ ٢٤ .

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [١].

وقال: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾[٢].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١١٤) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ (١١٩) سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٣].

وقال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾[٤].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [٥].

١٦) ما ذكره الله من الأدلة على اتفاق كتبه ورسله على توحيد الله عز وجل:

قال سبحانه: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [٦].

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ٩ ـ ١٠ .
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦ .
(٣) سورة الصافات، الآيات: ١١٤ ـ ١٢١ .
(٤) سورة غافر، الآية: ٥١ .
(٥) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ ـ ١٧٣ .
(٦) سورة إبراهيم، الآية: ١٠ .

وقال: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١).

* وهذه الدلالات العظيمة والأساليب البليغة المتنوعة التي تثبت توحيد الله عز وجل وتقرره وتوضحه إنما هي غيضٌ من فيض وإلا فالقرآن كله إنما هو في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم(٢).

ويقول ابن القيم: (إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد)(٣).

* * *

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٥ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية، ص٨٨ .

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٥٠ .

الفصل الثالث

التوحيد في سنة المصطفى ﷺ

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)



الفصل الثالث

التوحيد في سنة المصطفى ﷺ

* الرسول ﷺ من بعثته إلىٰ وفاته والتوحيد أعظم شأنه، وأزكىٰ أعماله، يدعو إليه، ويربي الأمة عليه، ويقاتل لأجله، ويحب ويبغض لأجله، ويحيا ويموت من أجله، روىٰ البخاري في صحيحة صفة رسول الله ﷺ الموجودة في التوراة، عن عطاء بن يسار قال: (لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: **«يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح الله بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا»**(١).

وقال ﷺ عن نفسه: **«أرسلت بالحنيفية السمحة»** (٢).

قلت: **وهذه الحنيفية هي التوحيد**؛ قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾(٣)، وقال: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٤).

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢١ .

(٢) مسند أحمد ٦/ ١١٦، ٢٣٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٧ .

(٤) سورة يونس، الآية: ٦٧ .

وقال ﷺ: «**بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له**»(١).

وكان ﷺ يفتتح دعوته للناس بالتوحيد: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(٢).

وأخبر أبو سفيان هرقلَ عن دعوة الرسول ﷺ عندما قال له هرقل: ماذا يأمركم؟ قال: قلت: (**يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة**)(٣).

* **ويبعث به رسله إلى الناس** كما روىٰ البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ...** الحديث»(٤).

* **ويرسل به كتبه إلى الملوك**، فقد روىٰ البخاري في صحيحه عن أبي سفيان أن هرقل قرأ كتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية وفيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمدٍ عبدِ الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**»(٥).

---

(١) مسند أحمد ٢/ ٩٢، ٥٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٥/ ١٠٩.

(٢) مسند أحمد ٤/ ٦٣.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٥.

(٤) صحيح البخاري ٨/ ١٦٤.

(٥) قال ابن حجر: جمع أريس وهومنسوب إلىٰ أريس بوزن فعيل. قال ابن سيده: الأريس الأكاري الفلاح، انظر: الفتح (١/ ٢٦) دار المعرفة.

ويا أهل الكتاب تعالوا إلىٰ كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون [١].

* **ويعلمه الوفود** إذا قدموا عليه كما روىٰ البخاري في صحيحه قصة أصحاب وفد عبدالقيس لما أتوا النبي ﷺ فأمرهم بالإيمان بالله وحده وقال لهم: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده** ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال: **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله** . . . الحديث» [٢].

* **ويقاتل الناس عليه** كما قال ﷺ: « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**» [٣].

* **ويبايع على التوحيد** كما قال جرير رضي الله عنه : بايعت رسول الله ﷺ علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم [٤].

* **وربى ﷺ المسلمين على التوحيد** في كل شئونهم؛ فصلاتهم تفتتح بالتوحيد، وتختتم بالتوحيد، وكم في الأذان للصلاة والتكبير عند الدخول في الصلاة وقراءة الفاتحة والتسبيح والركوع والسجود وقراءة التشهد من معاني التوحيد العظيمة التي لا يحصيها إلا الله !

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٦ .

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٩ .

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٠٢ .

(٤) صحيح البخاري ٣/ ٢٧ .

* **يقول ابن القيم** عن سورة الفاتحة: (اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها أكمل تضمن؛ فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها ومدارها عليها وهي: الله والرب والرحمن، وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة، فإياك نعبد مبني على الإلهية وإياك نستعين على الربوبية وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة والحمد يتضمن الأمور الثلاثة فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده، وتضمنت إثبات المعاد وجزاء العباد بأعمالهم حسنها وسيئها وتفرد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق وكون حكمه بالعدل، وكل هذا تحت قوله مالك يوم الدين، وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة)[1].

وشرح ابن القيم المعاني التوحيدية العظيمة في سورة الفاتحة في ثلاثة مجلدات كبار، والأمر أعظم من ذلك، وإذا كانت سورة الفاتحة هذه يرددها المسلم في كل ركعة وهو يصلي في اليوم والليلة سبع عشرة ركعة حتمًا لازمًا ما عدا السنن الرواتب والوتر وما يزيد من النوافل ـ تبين لنا شأن التوحيد وحرص الرسول ﷺ أن يبقى العبد المسلم ملازمًا له؛ فإنه بعد أن ينتهي من صلاته رغّبه الرسول ﷺ في الاستزادة من التوحيد، وكان ﷺ يفعل ذلك والصحابة يسمعونه ويتلقونه منه ـ بأبي هو وأمي ـ فكان إذا انصرف من الصلاة استغفر الله ثلاثًا وقال: « **اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد**

(١) مدارج السالكين ١/ ٧ .

منك الجد. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»(١).

* فإذا انفتل من صلاته وأراد دخول منزله دخله والتوحيد مصاحبٌ له، قال ﷺ: « **إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»**(٢).

* وفي مسائه وصباحه التوحيد ملازم له، فعن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: « **سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت. إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة (أو كان من أهل الجنة) وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله»**(٣).

* وإذا أوىٰ إلىٰ فراشه فالتوحيد ملازم له، فعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه نام علىٰ شقه الأيمن ثم قال: **«اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي**

---

(١) صحيح الكلم الطيب للألباني، ص٤٦ ـ ٤٧ .

(٢) المصدر السابق، ص٣٠ .

(٣) صحيح البخاري ٧/ ٥٠ .

أنزلت وبنبيك الذي أرسلت»، وقال رسول الله ﷺ: « **من قالهن ثم مات من ليلته مات على الفطرة»** (١).

قلت: والفطرة هي التوحيد كما قال سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾(٢).

* فإذا انتبه العبد المسلم من هذا النوم المبارك الذي بدأه بالتوحيد فليفتتح تهجده بالتوحيد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: « **اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك»**(٣).

* وإذا مسّ العبدَ المسلم الكربُ فليتذكر أن التوحيد سبب لإزالة الكرب، فعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»** (٤).

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٤٧ .

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠ .

(٣) صحيح البخاري ٧/ ١٤٨ .

(٤) المصدر السابق ٧/ ١٥٤ .

* وإذا همّ بأمر أو سفر فليتذكر أن التوحيد وسيلته في إنجاح مطالبه وحفظه من المكاره والشرور، فعن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: «**إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري** (أو قال: في عاجل أمري وآجله) **فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري** (أو قال: في عاجل أمري وآجله) **فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به. ويسمي حاجته**»(١).

* فإذا كان في سفر فلا يشغله السفر عن التوحيد، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزوة أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**»(٢).

* وإذا جلس العبد مجلساً وكثر فيه اللغط فليعلم أن الوسيلة لتكفير ذلك اللغط إنما هي التوحيد، قال ﷺ: «**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ـ إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك**»(٣).

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٦٢.

(٢) صحيح البخاري ٧/ ١٦٣.

(٣) صحيح الكلم الطيب، ص٨٥.

* وليس الأمر مقتصراً على ما تقدم، فتوحيد الله يحفظ الموحد من الشيطان، قال رسول الله ﷺ : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي**»(١).

* فإذا أوى إلى فراشه وقرأ آية الكرسي المشتملة على التوحيد: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ...** ﴾(٢)، حتى يختمها فإنه لا يزال معه من الله حافظ ولا يقربه الشيطان حتى يصبح(٣).

* وتوحيد الله يحرم العبد على النار كما قال ﷺ: « **فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(٤). وأسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ من أخلص التوحيد لله عز وجل(٥)، ومن كان آخر كلامه التوحيد دخل الجنة(٦).

هذه إشارات إلى التوحيد في سنة المصطفى ﷺ القولية والفعلية والتقريرية. فهو يذكّر بالتوحيد في دعوته، ويذكّر بالتوحيد في جهاده، ويذكّر بالتوحيد في صلاته، ويذكّر بالتوحيد في حياة المسلم اليومية، ويفتتح

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٦٧ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .
(٣) صحيح البخاري ٦/ ١٠٤ .
(٤) صحيح البخاري ٢/ ٥٦، ١/ ٤١ .
(٥) صحيح البخاري ١/ ٣٣ .
(٦) صحيح البخاري ٢/ ٦٩ .

حجه بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك[١].

ويحذر أمته من ضد التوحيد: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلىٰ يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله** ... الحديث»[٢]. ويبين ﷺ بأن من مات يدعو لله ندًا دخل النار[٣]. وقال ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[٤]، وقال ﷺ عند ذبح أضحيته: «**اللهم إن هذا منك وإليك**»[٥].

* ووجه المسلمين إلىٰ إخلاص الدعاء لله وحده فقال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالىٰ: «**يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**»[٦].

وقال ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»[٧].

---

(١) صحيح مسلم مع النووي ٨/ ٨٨ .
(٢) صحيح البخاري مع الفتح، ط. السلفية ١٠/ ١٤١ .
(٣) المصدر السابق ٨/ ١٧٦ .
(٤) صحيح مسلم مع النووي ١٣/ ١٤١ .
(٥) سنن البيهقي ٩/ ٢٨٥ .
(٦) صحيح مسلم مع النووي ١٦/ ١٣١ .
(٧) مسند أحمد ١/ ٢٩٣ .

وقال ﷺ عندما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[(١)]: « **يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا يا عباس بن المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا** »[(٢)].

* ورغّب المسلمين في توحيد الله بأن يعرفوا أسماءه سبحانه ويوحدوه بها فقال: « **لله تسعة وتسعون اسمًا مائة إلا واحدًا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر** »[(٣)].

* وبين للناس كمالات الله التي تفرد بها عن جميع خلقه فذكر منها علم مفاتح الغيب فقال: « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله** »[(٤)].

* وبين عظمة الله تبارك وتعالىٰ وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فذكر أن الأنبياء يوم القيامة يعتذرون عن الشفاعة فيأتي رسول الله ﷺ فيستأذن علىٰ ربه فيؤذن له، يقول ﷺ: « **فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي: ارفع محمد وقُل يُسمع وسَل تُعطه واشفع تشفّع فأحمد ربي بمحامد علّمنيها فيحدّ لي حدًا فأدخلهم الجنة** .. الحديث »[(٥)].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤ .
(٢) البخاري مع الفتح ٨/ ٥١ .
(٣) صحيح البخاري ٧/ ١٦٩ .
(٤) صحيح البخاري ٨/ ١٦٦ .
(٥) صحيح البخاري ٨/ ١٧٣ .

وقال: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك**»[١].

وقال ﷺ: «**إن الله يضع السماء على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع والشجر والأنهار على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يقول بيده: أنا الملك**»[٢].

* وبيَّن ﷺ بأن عمل المشرك مردود فقال فيما يرويه عن ربه: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه وأنا منه براء**»[٣].

* وحمى ﷺ جانب التوحيد وسد منافذ الشرك فحذر من اتخاذ القبور مساجد فقال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٤].

وقال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**»[٥].

* وحذر من الرقى الشركية والتمائم والتطير فقال: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[٦].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ٨/ ١٨٧ .

(٣) مسلم ٤/ ٢٢٨٩ .

(٤) البخاري مع الفتح ١/ ٥٣٢ .

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٧٠ .

(٦) مسند أحمد ١/ ٣٨١، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

وقال ﷺ: « **ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** » (١).

وقال ﷺ: « **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله** » (٢).

* هذا غيض من فيض من إشارات الرسول ﷺ إلى التوحيد وعمله به وتعليمه للأمة وتربيتهم عليه وبيان مكانته، وإلا فالأمر أعظم من هذا بكثير، وقد رغّب الرسول ﷺ الأمة في قراءة القرآن الذي فيه توضيح التوحيد غاية التوضيح فقال: « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران** » (٣).

* وبيَّن مزية الآيات والسور الخاصة بالتوحيد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال: **هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته** » (٤).

وقال ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: « **يا أبا المنذر، أتدري آية من**

---

(١) مجمع الزوائد ٥/ ١١٧ .

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٤٧٨ .

(٣) صحيح مسلم مع النووي ٦/ ٨٤ .

(٤) صحيح مسلم مع النووي ٦/ ٩١ .

كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري وقال: **ليهنك العلم يا أبا المنذر**»[(١)].

وقال ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟** قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: **قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**ألم تر آيات أنزلت الليلة لم يُرَ مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس**»[(٣)].

* وبين ﷺ أن الاعتصام بهذا الكتاب سبب للنجاة من الضلال، ولا ينجو إلا موحد كما تقدم، فقال ﷺ في خطبة الوداع: «**تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي إن اعتصمتم به: كتاب الله**»[(٤)].

وهذا المنهج الذي سلكه الرسول ﷺ في التوحيد ليس خاصًا به بل يوافقه فيه الأنبياء جميعًا كما قال الرسول ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[(٥)].

وقال ﷺ: «**قال موسى: يا رب علّمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: كل عبادك يقولون هذا !! قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله**»[(٦)].

---

(١) صحيح مسلم مع النووي ٦/ ٩٣ .

(٢) المصدر السابق ٦/ ٦٣ .

(٣) المصدر السابق ٦/ ٩٦ .

(٤) المصدر السابق مسلم مع النووي ١٥/ ١٧٩ .

(٥) البخاري ٤/ ١٤٢ .

(٦) المستدرك ١/ ٥٢٨ وصححه ووافقه الذهبي .

وقال ﷺ: « **إن نوحًا عليه السلام قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ولا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله**» (١) .

وقال ﷺ: « **خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»(٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « **كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة**» (٣) .

* * *

(١) مسند أحمد ٢/ ١٦٩ ، والمستدرك ١/ ٤٨ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) موطأ مالك ١/ ٢١٤ .

(٣) المستدرك ٢/ ٤٤٢ وقال: على شرط البخاري .

الفصل الرابع

التوحيد في فهم السلف الصالح

الفصل الرابع

التوحيد في فهم السلف الصالح

* **السلف الصالح هم الصحابة ومن سار على نهجهم في الاعتقاد،** ولا شك أن عقيدة الصحابة هي العقيدة الصحيحة المرضية وذلك بنص الرسول ﷺ فإنه قال: « **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة** . قيل: من هي يا رسول الله ؟ قال: **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» (١) .

* **وفي مقدمة الصحابة الخلفاء الراشدون**، وقد أمر الرسول ﷺ باتباع سنتهم فقال: « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**» (٢) .

* **وعدلهم الله تبارك وتعالى** في كتابه إذ قال: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ﴾ (٣) .

* **وبين أنه تاب عليهم** كما قال سبحانه: ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ**

---

(١) مسند أحمد ٢/ ٣٣٢، والمستدرك ١/ ١٢٨، وقال: على شرط مسلم، وقال ابن تيمية: حديث صحيح مشهور، مجموع الفتاوى ٣/ ٣٤٥ .

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ١٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/ ١٣ .

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠ .

فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(١) .

* فهؤلاء الذين غزوا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك وعددهم كثير جداً كما **قال كعب بن مالك:** «لا يجمعهم كتاب حافظ، فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له»(٢) .

وقد تاب الله عليهم جميعًا وهذه تزكية عظيمة لهم تدل على سلامة عقيدتهم خصوصًا في التوحيد الذي هوأساس الدين، هذا فضلاً عن ثناء الرسول ﷺ على أهل بدر وقوله: « **لعل الله اطلع على أهل بدر وقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» .

* **وثناء الله على أهل بيعة الرضوان في قوله:** ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٣) .

وقال ﷺ: « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»(٤) .

وقال ﷺ: « **النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»(٥) .

---

(١) سورة التوبة، الآيتان : ١١٧ ـ ١١٨ .
(٢) صحيح البخاري ٨/ ١١٣ .
(٣) سورة الفتح، الآية: ١٧ .
(٤) صحيح البخاري ٥/ ١٩٩ .
(٥) صحيح مسلم مع النووي ١٦/ ٨٢ .

قلت : ويستحيل أن يكون صحابة رسول الله ﷺ أمنة لأمته وهم ليسوا على عقيدة صحيحة ، وكيف لا تكون عقيدتهم صحيحة وقد اجتمعت فيهم جميع مقومات الفهم الصحيح : فالقرآن باللغة العربية الفصحى والصحابة هم أهلها الذين يدركون أساليبها ومعانيها ، والرسول ﷺ عاش بين أظهرهم وهو من أفصح الخلق وأقدرهم على البيان وأرغبهم وأحرصهم عليه ، والله كلفه بالبلاغ ، وهم قد سألوه في مسائل فقهية كثيرة ومسائل عقدية ويجيب السائلين باللغة التي يفهمونها بل إنه ﷺ يبتدرهم بالتعليم قبل السؤال في كثير من الأمور ، وهم يعلمون أن صحة العمل متوقفة على صحة العلم ، وهم من أحرص الناس على العلم والعمل جميعًا حتى أن نساءهم سألن رسول الله ﷺ في مسائل لا تجرؤ عليها المرأة عادة . فكيف بالتوحيد الذي هو أصل الدين مع سلامة فطرهم وحسن فهمهم لما يلقى عليهم؟

وهذا شاهد عدل منهم من أهل بدر يقول : من كان منكم متأسيًا فليتأسّ بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا وأحسنها حالاً ، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه ؛ فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم(١) .

وحق لمن كان حالهم ما تقدم أن يقول ابن القيم عن صحة فهمهم ووجوه تقديمه على غيره ما يلي :

الوجه الأول : أن النبي ﷺ بين لأصحابه القرآن لفظه ومعناه ، فبلغهم معانيه كما بلغهم ألفاظه ولا يحصل البيان والبلاغ المقصود إلا بذلك . قال أبو عبدالرحمن السلمي أحد كبار التابعين الذين أخذوا القرآن ومعانيه عن

---

(١) جامع بيان العلم : لابن عبدالبر ٢/ ١١٩ .

مثل عبدالله بن مسعود وعثمان بن عفان وتلك الطبقة: حدثنا الذين كانوا يُقرِؤوننا القرآن من أصحاب النبي ﷺ عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل؛ فتعلمنا القرآن والعلم والعمل .

الوجه الثاني : أن الله سبحانه أنزل على نبيه الحكمة كما أنزل عليه القرآن، وامتن بذلك على المؤمنين. والحكمة هي السنة .

الوجه الثالث : أن الرجل لو قرأ بعض مصنفات الناس في النحو والطب أو غيرهما أو قصيدة من الشعر كان من أحرص الناس على فهم معنى ذلك وكان من أثقل الأمور عليه قراءة كلام لا يفهمه؛ فإذا كان السابقون يعلمون أن هذا كتاب الله وكلامه الذي أنزله إليهم وهداهم به وأمرهم باتباعه فكيف لا يكونون أحرص الناس على فهمه ومعرفة معناه ؟! .

الوجه الرابع : أنهم كانوا يسألونه عما يشكل عليهم من الصفات فيجيبهم بتقريرها لا بالمجاز والتأويل الباطل، كما سأله أبو رزين العقيلي عن صفة الضحك لما قال: «**ينظر إليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب**، فتعجب أبو رزين من ضحك الرب تعالى وقال: يا رسول الله، أو يضحك الرب؟ فقال رسول الله ﷺ : **نعم**، فقال: لن نعدم من رب يضحك خيراً» .

الوجه الخامس : أن الصحابة قد سمعوا من النبي ﷺ من الأحاديث الكثيرة ورأوا من الأحوال المشاهدة وعلموا بقلوبهم من مقاصده ودعوته ما يوجب فهم ما أراد بكلامه ما يتعذر على من بعدهم مساواتهم فيه، فليس من سمع وعلم ورأى حال المتكلم كمن كان غائباً لم ير ولم يسمع أو سمع

وعلم بواسطة أو وسائط كثيرة. وإذا كان للصحابة من ذلك ما ليس لمن بعدهم كان الرجوع إليهم في ذلك دون غيرهم متعينًا قطعًا، ولهذا قال الإمام أحمد: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ. ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه كما شهد لهم رسول الله ﷺ بذلك في قوله: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**».

فثبت بهذه الوجوه القاطعة عند أهل البصائر ـ وإن كانت دون الظنية عند عمى القلوب ـ أن الرجوع إليهم في تفسير القرآن الذي هو تأويله الصحيح المبين لمراد الله هو الطريق المستقيم، ولهذا نص الإمام أحمد على أنه يرجع إلى الواحد من الصحابة في تفسير القرآن إذا لم يخالفه غيره منهم. وطائفة من أهل الحديث يجعلون تفسيره في حكم الحديث المرفوع، قال أبو عبدالله الحاكم في مستدركه: تفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع. ثم من المعلوم أن التابعين بإحسان أخذوا ذلك عن الصحابة ونقلوه منهم ولم يعدلوا عما بلغهم إياه الصحابة (١).

وإذا كان الصحابة رضوان الله عليهم تعلموا التوحيد من كتاب الله ومن رسول الله ﷺ وعملوا به وجاهدوا لأجله فلننظر إلى فهمهم السديد الذي لايكون الحق في غيره أبدًا، ولننظر إلى فهم من سار على نهجهم لتتضح الحقيقة كاملة وليزول تلبيس الملبسين حول توحيد رب العالمين ولنقتصر على بعض مسائل تبين المقصود فإن الاستقصاء أمر يطول ويخرج عن مقصود هذا البحث.

---

(١) مختصر الصواعق ٢/ ٣٣٨ـ٤٤٦.

المسألة الأولى :

لقد فهم الصحابة التوحيد من ألفاظ مختلفة تأتي في الكتاب والسنة كثيراً وهي عند الإطلاق والخلو من القرينة على معنى واحد، وهذه الألفاظ هي : لا إله إلا الله، الإيمان بالله، عبادة الله وحده، الإسلام، الدين، لا شريك لله، ومما يوضح هذا الأمر ما يلي :

أ) لقد فهم جابر رضي الله عنه من قول الرسول ﷺ : « **لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك** » أنه يدل على التوحيد فقال : فأهلَّ بالتوحيد(١) .

وفهم أيضًا من قوله ﷺ : « **لا إله إلا الله** » التوحيد حيث قال في سياق حجة النبي ﷺ : فبدأ بالصفا فرقى عليها حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحَّد الله وكبره قال : « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده** » (٢) .

ب) لقد فهم رواة حديث معاذ بن جبل أن كلمة لا إله إلا الله وكلمة توحيد الله وكلمة عبادة الله بمعنى واحد كما روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً نحو اليمن قال له : «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى**» الحديث(٣) .

---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري بتحقيق الألباني، ص١٨٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) صحيح البخاري ٨/ ١٦٤ .

وجاء في رواية: « **ادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله**»، وفي أخرىٰ: «**إلى عبادة الله**»(١). ومن المعلوم أن الرسول ﷺ لم يكرر هذه الألفاظ في مجلس واحد، وإنما رواة الحديث رووه بالمعنىٰ لأنهم يعلمون أن هذه الألفاظ كلها تدل علىٰ التوحيد.

جـ) **قال ابن عباس** رضي الله عنهما عن كلمة « **لا إله إلا الله** » بأنها: «**كلمة التوحيد**»، وهي دعوة الحق المذكورة في قوله: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ**﴾(٢). وفسر ابن عباس العبادة بالتوحيد(٣). **وقال البغوي**: قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد(٤).

* وفهم جابر رضي الله عنه أن سورة الإخلاص متمحضة لإثبات التوحيد فقال عن صلاة رسول الله ﷺ خلف المقام بعد الطواف: وقرأ فيهما بالتوحيد وقل يا أيها الكافرون(٥).

د) ما ذكره المغيرة بن شعبة لعامل كسرىٰ حيث قال: فأمرنا نبينا ﷺ

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد للغنيمان ١/ ٣٦.
(٢) سورة الرعد، الآية: ١٤، وانظر: تفسير الطبري ١٣/ ١٢٨.
(٣) الدر المنثور للسيوطي ١/ ٨٥.
(٤) ١/ ٣٨ تفسير الخازن وبهامشه تفسير البغوي.
(٥) سنن أبي داود رقم ١٩٠٩ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ٣٦٠.

رسول ربنا أن نقاتلكم حتىٰ تعبدوا الله وحده وتؤدوا الجزية[١] .

ومثله قول ربعي بن عامر لرستم : إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله [٢] .

* وهذه الغاية وهي عبادة الله وحده وصفها الرسول ﷺ بأنها شهادة أن لا إله إلا الله حيث قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وحده وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»[٣] .

* ووصفه الله بأنها الدينونة له سبحانه فقال : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ [٤] .

* وهذا الدين هو التوحيد كما قال ابن عباس : ﴿ **وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾ [الأنفال : ٣٩] أي يخلص له التوحيد [٥] .

* ووصفها الله بأنها الإسلام فقال سبحانه : ﴿ **سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ** ﴾ [٦] .

* ووصفها الرسول ﷺ بأنها الإسلام ، فكان يقول لأمير الجيش الذي يبعثه للمشركين : « **اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا فلا**

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ٦/ ١٩ دار المعرفة .
(٢) البداية والنهاية ٧/ ٣٩ .
(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١/ ٧٢ دار المعرفة .
(٤) سورة الأنفال، الآية : ٣٩ .
(٥) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٢٠٠ .
(٦) سورة الفتح، الآية : ١٦ .

تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام ... » [١].

وقال ﷺ عندما بعث عليًا لقتال اليهود في خيبر : « **انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام**» [٢].

* فكل ما تقدم يدل على أن لا إله إلا الله هي معنى اعبدوا الله وهي معنى وحِّدوا الله وهي معنى أسلموا لله وهي معنى اجعلوا الدين كله لله ؛ لأن القضية التي يقاتل عليها الكفار هي قضية واحدة وهي قضية التوحيد وهي أساس الدين كما قال الرسول ﷺ لوفد عبد القيس : « **أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟** قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله** ... الحديث» [٣].

وقال ﷺ : « **من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة**» [٤].

* وفسر الرسول ﷺ الظلم في قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾[٥] أنه الشرك[٦]، والشرك ضد التوحيد فدل على أن الإيمان هو التوحيد.

---

(١) صحيح مسلم مع النووي ٢١/ ٣٧ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) صحيح البخاري ١/ ١٩ .
(٤) صحيح البخاري ٨/ ١٧٦ .
(٥) سورة الأنعام، الآية : ٨٢ .
(٦) صحيح البخاري ٦/ ٢٠ .

* وهذا يدل على أن الإيمان أيضًا هو نفس معنى لا إله إلا الله وأن الإيمان ولا إله إلا الله هي نفس معنى التوحيد كما قال ﷺ في حديث ابن عمر: «**بني الإسلام على خمس: على أن يوحد الله** . . . الحديث» ، وجاء في رواية أخرى: « **على أن يعبدوا الله ويكفر بما دونه**»، وفي رواية أخرى: «**على خمس شهادة أن لا إله إلا الله**» (١) .

وبمثل فهم الصحابة في التوحيد فهم التابعون وأتباعهم، فهم جميعًا يقتبسون من مشكاة واحدة .

قال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ** ﴾ (٢)، قال: في النية والعمل والإخلاص والتوحيد (٣) .

وقال مجاهد عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ** ﴾ (٤) : الإيمان هو العروة الوثقى، لا يقبل الله عملاً إلا به ولا يحرم الجنة إلا على من تركه (٥) .

وقال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ (٦) : أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد لله، لا يقبل منهم حتى يقولوه ويقروا به، والشرائع تختلف؛ في التوراة

---

(١) صحيح مسلم مع النووي ١/ ١٧٧ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٤ .
(٣) الدر المنثور ٢/ ١٨٠ .
(٤) سورة المائدة، الآية: ٥ .
(٥) الدر المنثور ٣/ ٢٦ .
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥ .

شريعة وفي الإنجيل شريعة وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، فهذا كله في الإخلاص لله وتوحيد الله[١] .

وقال عكرمة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢]: في الإسلام أوصىٰ بها ولده[٣].

وقال مجاهد عن هذه الكلمة: «**الإخلاص والتوحيد**» لا يزال في ذريته من يقولها من بعده[٤] .

وقال قتادة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[٥]: هو الذي يعبد في السماء ويعبد في الأرض[٦] .

وقال مجاهد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٧]: شهد بالحق: أي كلمة الإخلاص[٨] .

* وما تقدم من تفسير التابعين يدل علىٰ أنهم فهموا من لا إله إلا الله وعبادة الله والتوحيد والإخلاص والإيمان والإسلام ونفي الشرك قضية واحدة هي: **تجريد التوحيد لله سبحانه وتعالى** .

---

(١) الدر المنثور ٥/ ٦٢٤ .

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٨ .

(٣) الدر المنثور ٧/ ٣٧٣ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٨٤ .

(٦) الدر المنثور ٧/ ٣٩٥ .

(٧) سورة الزخرف، الآية: ٨٦ .

(٨) الدر المنثور ٧/ ٣٩٦ .

يقول الإمام عثمان بن سعيد الدرامي : وتفسير التوحيد عند الأمة وصوابه قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، التي قال رسول الله ﷺ : «**من جاء بها مخلصًا دخل الجنة**»[1].

* **ولله در الشيخ محمد بن عبدالوهاب** عندما ذكر في مسائله التي استنبطها من حديث معاذ بن جبل عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن بأن التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله بمعنى واحد[2].

* **وكذلك الشيخ ابن سعدي** عندما شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب فقال في باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله : هما بمعنى واحد فهو من باب عطف المترادفين[3].

* على أن هذا الفهم ليس فهم الشيخين المذكورين آنفًا فحسب **بل هو فهم السلف جميعًا وهو مقتضى الأدلة الشرعية**، ولم يخالف في هذا إلا بعض أهل الكلام الذين لا يفسرون لا إله إلا الله بأنها إفراد الله بالعبادة وإنما هي إفراد الله بالخلق فحسب كما سيأتي في آخر هذا البحث .

---

(١) رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد، ص٣٦٢ .

(٢) انظر : المسألة التاسعة من مسائل باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، ص٢٨ من كتاب التوحيد وبهامشه القول السديد .

(٣) المصدر السابق، ص٣١ .

المسألة الثانية :

* **كان السلف يفهمون أن اتخاذ الأسباب[(١)] لا ينافي التوحيد.** وأكتفي في بيان هذه المسألة بقضية واحدة شهدها جمعٌ عظيم من الصحابة .

* فقد روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ[(٢)] لقيه أمراء الأجناد : أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه : أن الوباء قد وقع بأرض الشام . قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا فقال بعضهم : قد خرجنا لأمر ولا نرى أن نرجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي الأنصار ، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال : ارتفعوا عني ، ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنادى عمر في الناس : أني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، قال أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم ، نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال : فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان

---

(١) المراد بالأسباب : ما ثبتت أنها أسباب بدليل شرعي أو تجربة بشرية ، ولم يرد نهي عنها في الشرع . انظر : القول السديد ، ص٣٤ وما بعدها .

(٢) سرغ : أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل الحاج الشامي ، وقيل : قرية بوادي تبوك . انظر : مراصد الاطلاع ٢/ ٧٠٧ .

متغيبًا في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه** »، قال: فحمد الله عمر ثم انصرف(١).

قلت: ولعل سبب اختلاف الصحابة في البداية قبل أن يبلغهم النص من الرسول ﷺ إنما هو لحداثة مثل هذه القضية ولخفاء السبب فيها، ولأنهم قد قطعوا مسافة طويلة من المدينة إلى تبوك على ظهور الجمال، والرجوع دون تحقيق المقصود فيه مشقة على النفس، وإلا فالأسباب المعهودة المعلومة التي يتفق عليها العقلاء كسبب النكاح لإنجاب الولد وتناول الطعام لإزالة الجوع لا يمكن أن يختلف فيها الصحابة، وهذا رسول الله ﷺ إمام الموحدين يتخذ من الأسباب في هجرته الشيء الكثير وذلك لإخفاء نفسه وصاحبه عن أعين الكافرين(٢).

المسألة الثالثة:

* كان السلف يرون أن إثبات صفات الكمال لله هو حقيقة التوحيد.

يقول ابن القيم: (وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الموصوف بصفات الجلال المنعوت بنعوت الكمال. المنزه عما يضاد كماله من سلب حقائق أسمائه وصفاته المستلزمة لوصفه بالنقائص وشبه المخلوقين، فنفي حقائق أسمائه وصفاته متضمن للتعطيل والتشبيه، وإثبات حقائقها على وجه الكمال الذي لا يستحقه سواه هو حقيقة التوحيد والتنزيه، فالمعطل: جاحد لكمال المعبود. والممثل: مشبه له بالعبيد، والموحد: مبين لحقائق أسمائه وكمال أوصافه، وذلك قطب رحى التوحيد، فالمعطل: يعبد عدمًا،

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ٢١.

(٢) انظر: قصة هجرة الرسول ﷺ في صحيح البخاري ٤/ ٢٥٥.

والممثل: يعبد صنمًا، والموحد: يعبد ربًا ليس كمثله شيء له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ)(١).

وهذا الذي ذكره ابن القيم إنما هو مستنبط من كلام السلف الصالح قبله فهذا ابن عباس يقول في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾(٢): هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهًا؟ (٣).

وإذا كان لامثيل له ولا شبيه فإنه منزه عن مشابهة المخلوقات التي من شأنها النقص دائمًا، وعن مشابهة المعدومات التي سُلبت الصفات، فإن المعطل: قد أشرك مع الله المعدومات التي لا توصف بالثبوت، كما أن المشبه: قد أشرك مع الله الناقصات.

يقول ابن عبدالبر: عن المتكلمين الجاحدين لصفات كمال الرب: (وهم عند من أثبتها نافون للمعبود)(٤).

قلت: ولأجل هذا نرىٰ أن السلف الصالح سموا كتبهم التي يثبتون فيها الأسماء والصفات بكتب التوحيد مثل: البخاري وابن منده وابن خزيمة. وذلك لأن الإله: اسم للرب وهو مشتمل علىٰ صفة، والرب: اسم لله وهو مشتمل علىٰ صفة، فقد صح وصف الله بالإله كما في صحيح البخاري عن خبيب الأنصاري أنه قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا

على أي شق كان في الله مصرعي

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ١٤٧ .

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥ .

(٣) الدر المنثور ٥/ ٥٣١ .

(٤) التمهيد ٧/ ١٤٥ .

وذلك في ذات الإلـــه وإن يشأ

يبـــارك على أوصال شلو ممزع (١)

واستدل البخاري بهذين البيتين ؛ لأن خبيبًا قد قالها في زمن التشريع وبلغت الرسول ﷺ ولم ينكر عليه وصفه لله بالإله ، وأما اسم الرب فقد جاء في أحاديث منها قوله ﷺ : « **فأما الركوع فعظموا فيه الرب** » (٢) .

وإذا ثبتت الإلهية والربوبية صفات لله تبين لنا كيف أن إثبات الأسماء والصفات إنما هو إثبات لحقيقة التوحيد ، يقول ابن القيم في معرض بيانه بأن سورة الفاتحة متضمنة للرد على الجهمية معطلة الصفات وذلك من وجوه :

أحدها : من قوله ﴿ **الحمد لله** ﴾ فإن إثبات الحمد الكامل له يقتضي كل ما يحمد عليه من صفات كماله ونعوت جلاله ، إذ من عدم صفات الكمال فليس بمحمود على الإطلاق ، وغايته أنه محمود من وجه دون وجه ، ولا يكون محمودًا بكل وجه وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد إلا من استولى على صفات الكمال جميعها ، فلو عدم منها صفة واحدة لنقص من حمده بحسبها ، وكذلك في إثبات صفة الرحمة له ما يتضمن إثبات الصفات التي تستلزمها : من الحياة والإرادة والقدرة والسمع والبصر وغيرها ، وكذلك صفة الربوبية : تستلزم جميع صفات الفعل ، وصفة الإلهية : تستلزم جميع أوصاف الكمال ذاتًا وأفعالاً كما تقدم بيانه ، فكونه محمودًا إلهًا ربًا رحمانًا رحيمًا ملكًا معبودًا مستعانًا هاديًا منعمًا يرضى ويغضب مع نفي قيام الصفات به جمعٌ بين النقيضين وهو من أمحل المحال) (٣) .

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٧١ .

(٢) مسند أحمد ١/ ٢١٩ ، والنسائي ٢/ ١٨٩ ، وأبو داود ١/ ٢٣٢ .

(٣) مدارج السالكين ١/ ٦٤ .

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رده على مسائل سأل عنها محمد بن عباد: (. . . . فمن أنكر الصفات فهو معطل والمعطل شر من المشرك، ولهذا كان السلف يسمون التصانيف في إثبات الصفات: كتب التوحيد، وختم البخاري صحيحه بذلك. قال: كتاب التوحيد. ثم ذكر الصفات بابًا بابًا. فنكتة المسألة: أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات، فقال أهل السنة: لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات، وتوحيدكم هو التعطيل. ولهذا آل هذا القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى كما هومذهب ابن عربي وابن الفارض وفئام من الناس لا يحصيهم إلا الله. فهذا بيان لقولك: هل مراده الصفات أو الأفعال؟ فبين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله من جميع المخلوقات، فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال، فتبين أن منكر الصفات منكر لحقيقة الألوهية لكن لا يدري، وتبين لك أن من شهد أن لا إله إلا الله صدقًا من قلبه لابد أن يثبت الصفات والأفعال) (١).

ويقول أيضًا عن صفة الألوهية والربوبية والملك عند تفسيره للفاتحة: (فذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف: الألوهية والربوبية والملك كما ذكره في آخر سورة في المصحف: قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس، فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع ويبذل جهده في البحث عنه ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها) (٢).

---

(١) الدرر السنية ١/ ٧٠ .

(٢) القسم الرابع من مؤلفات الشيخ ص١١ .

قلت : ولا شك أن المشرك في العبادة الذي يدعو وسائط من دون الله من الموتىٰ والغائبين لكي يشفعوا له عند الله فيصرف لهم ذله وخضوعه وخوفه ورجاءه ونذره وذبحه، والإشادة بذكرهم وذكر محامدهم أنه قد وقع في التشبيه من وجهين :

الوجه الأول : أنه اعتقد بأن الله سبحانه كالملوك الجبابرة المتغطرسين الذين لا يعلمون عن أحوال رعيتهم كل شيء وإذا علموا فإنهم لكبريائهم لا يرضون أن يراجعهم بطلب الحاجات عامة الناس، وإنما يضعون حجابا ويكون لهم أعوان من علية القوم، فهم الذين يرفعون إليهم الحاجات وعلىٰ أيديهم تنزل الهبات، وهم الذين يعطفون المسئول علىٰ رعيته بما يظهرون له من حالهم، وهو يتظاهر أمامهم بالكرم والسخاء لأنهم في منزلة قريبة من منزلته فهو في حاجة إلىٰ مدحهم وثنائهم وفي حاجة إلىٰ معونتهم علىٰ تصريف مملكته .

الوجه الثاني : أنه اعتقد أن المتشفع بهم يسمعونه علىٰ البعد كما يسمعونه علىٰ القرب، وأنهم يفهمون لغة كل سائل في كل وقت وفي كل حين، وأنهم لا تختلط عليهم الأصوات مهما كثرت، وأنهم يعلمون الصادق في طلبه من الكاذب، ويعرفون أحوال القلوب وذلتها وانكسارها ونحو ذلك من حالات السائلين التي لا يعلمها إلا رب العالمين. وفي هذا تشبيه للمدعوين من الخلق العاجزين برب السماوات والأرضين وبهذا يظهر كيف أن إثبات صفات الكمال لله إنما هي إثبات لحقيقة التوحيد، وأن الوقوع في الشرك إنما هو انتقاص لصفات رب العالمين وتشبيه له بالخلق الناقصين. ولذا نرىٰ أن الصحابة رضي الله عنهم يتخيرون في أدعيتهم أعظم صفات الكمال ويتوسلون إلىٰ الله بالدعاء بها، فقد سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول : اللهم

إني أسألك بأنك لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال رسول الله ﷺ : « **لقد دعا الله عز جل باسمه الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**» (١).

وسمع آخر يقول في صلاته : اللهم إني اسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ : « **لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**» (٢).

ومثل هذا من أدعية الصحابة كثير، يجتهدون في اختيار أعظم صفات الكمال لله، ويجتهدون في الثناء عليه حال أدعيتهم .

المسألة الرابعة : كان السلف يرون أن الاعتراض على حكم الله ورسوله وانتقاصه مصادم للتوحيد. وأكتفي بذكر دليل واحد على هذه المسألة : وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل، فقال : **ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أعدل**، فقال عمر : يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال : **دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم** الحديث . . . » (٣).

---

(١) كتاب التوحيد لابن منده ٢/ ٦٠، وسنن أبي داود ٢/ ٧٩، والحاكم ١/ ٥٠٤، وقال على شرط الشيخين .

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٧٩، والحاكم ١/ ٥٠٣، وكلا الحديثين صححهما الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٢٧٩ .

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٧٩ .

فالرسول ﷺ لم يقل لعمر إن هذا لا يستحق القتل وإنما ترك الرسول ﷺ قتله لأسباب أخر ليس هذا مكان بسطها وإلا فإن الرجل قد نقض توحيده بمجرد انتقاصه لحكم رسول الله ﷺ واستحق القتل بذلك، لأن حكم الرسول ﷺ وحي من الله فهو حكم الله، ومنتقص حكم الله غير معظم لله، والتوحيد مبناه على غاية التعظيم لله سبحانه، يقول ابن تيمية في التعقيب على هذه القصة وعلى قصص أخرى مشابهة لها: (فثبت أن كل من لمز النبي ﷺ في حكمه أو قسمه فإنه يجب قتله)[(١)].

وذكر ابن تيمية قصة صبيغ بن عسل مع عمر وقوله: أما والله لو رأيتك محلوقًا لضربت الذي فيه عيناك ثم قال: فهذا عمر يحلف بين المهاجرين والأنصار أنه لو رأى العلامة التي وصف بها النبي ﷺ الخوارج لضرب عنقه مع أنه هو الذي نهاه النبي ﷺ عن قتل ذي الخويصرة، فعلم أنه فهم من قول النبي ﷺ: « **أينما لقيتموهم فاقتلوهم** ». القتل مطلقًا وأن العفو عن ذلك كان في حال الضعف والاستئلاف[(٢)].

وقال ابن تيمية: (والكلام الذي يؤذيهم ـ يعني الأنبياء ـ يكفر به الرجل فيصير به محاربًا إن كان ذا عهد، ومرتدًا أومنافقًا إن كان يظهر الإسلام)[(٣)].

ثم نقل ابن تيمية نصوصًا عن الإمام أحمد وعن أصحابه وعن القاضي عياض وعن الإمام مالك كلها تدل على وجوب قتل من طعن في رسول الله

---

(١) الصارم المسلول، ص١٨٧ .
(٢) المصدر السابق، ١٨٩ .
(٣) المصدر السابق، ٢٣٤ .

ﷺ ثم قال: (ومن هذا الباب قول القائل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، وقول الآخر: اعدل فإنك لم تعدل، وقول ذلك الأنصاري: أن كان ابن عمتك، فإن هذا كفر محض حيث زعم أن النبي ﷺ إنما حكم للزبير لأنه ابن عمته ولذلك أنزل الله تعالى هذه الآية[١]، وأقسم أنهم لا يؤمنون حتى لا يجدوا في أنفسهم حرجًا من حكمه وإنما عفا عنه النبي ﷺ كما عفا عن الذي قال: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله وعن الذي قال: اعدل فإنك لم تعدل، وقد ذكرنا عن عمر رضي الله أنه قتل رجلاً لم يرض بحكم النبي ﷺ فنزل القرآن بموافقته[٢] فكيف بمن طعن في حكمه؟ [٣].

المسألة الخامسة: كان السلف يرون أن التوحيد بالقول وحده إذا لم يكن عن التزام وخضوع للشريعة، فإنه لا يكفي ولذا فإنهم إنما يقبلون من الكافر إعلانه للإسلام على سبيل الالتزام، ويعتبرون الأصل فيه الصدق، ويعتبرونه مسلمًا بمجرد توحيده بالقول عندما لم تقم قرينة تفسد هذا الأصل، **فإذا قامت عندهم قرينة أصرح من قوله تدل على كذبه أو استخفافه أو استهزائه فإنهم لا يقبلون منه التوحيد بالقول ما دام أن الفعل يكذبه.** ومن أصرح الأدلة على هذا: تكفيرهم لمانعي الزكاة مع إعلانهم التوحيد. فكون المانعين للزكاة نصبوا الحرب، وعرضوا أنفسهم للقتل بأيدي المهاجرين والأنصار الذين يخبرونهم بوجوب الزكاة. وهم ـ أي مانعي الزكاة ـ لا

---

(١) يريد قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ سورة النساء، الآية: ٦٥ .

(٢) انظر: الصارم المسلول، ص٣٨، فقد ذكر قصة منافق لم يرض بحكم رسول الله ﷺ فقتله عمر ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ .

(٣) المصدر السابق، ص٥٢٨ .

يخضعون لهذا الحكم. يدل علىٰ أن توحيد القول لا اعتبار له عند السلف إذا فقد توحيد العمل وهو الانقياد للشريعة والاستجابة لها وأن هذا الظاهر من حالهم أصرح من قولهم: لا إله إلا الله المتضمن إعلان الخضوع والانقياد لله في كل شيء حيث صاحب هذا القول ظاهر أقوىٰ دلالة علىٰ عدم الخضوع وهو نصب الحرب من أجل الزكاة ولذا رجع عمر إلىٰ قول أبي بكر في هذه القضية ثم وافقهم الصحابة علىٰ هذا الأمر وغزوا معهم فكان إجماعًا؛ روىٰ البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**»، فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتهم علىٰ منعها، قال عمر رضي الله عنه: فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق(١).

قلت: وشبيه بهذا لو رأينا رجلاً يضع المصحف تحت قدميه ويهينه، ويضعه في القاذورات، وهو يقول: لا إله إلا الله، ويقول: أنا أحترم المصحف، أعظّم القرآن، وعلمنا أنه يعلم أنه مصحف وأنه ليس بمجنون ولا مكره فإن قوله هذا لا اعتبار له ففعله صريح الدلالة علىٰ إبطال قوله ولا نقبل توحيده بالقول وهو يشرك في توحيد العمل، وهذه المسألة واضحة في فقه الصحابة فهم يستدلون بالعمل علىٰ صدق الشخص من كذبه ولذا لما انتكس عبدالله بن أبي بن سلول بثلاثمائة من أتباعه عن جيش المسلمين المتوجه إلىٰ

(١) صحيح البخاري ٢/ ١١٠ .

أحد حاول عبدالله بن عمرو بن حرام إقناعهم بالذهاب مع الناس إلى المعركة فلما أبوا قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه[١].

فهذا الصحابي الجليل استدل على عداوتهم بترك العمل مع أنهم يقولون أعذارًا ظاهرها السلامة وهي أنهم يتوقعون أنه لا يحصل قتال، ولكن الله كذبهم فقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾[٢].

ويستدل الصحابة بترك صلاة الجماعة من غير عذر على نفاق الرجل، يقول ابن مسعود. ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق بيِّن النفاق)[٣].

* **ولكن عمل الشخص الظاهر منه ما يكون محتمل الدلالة على كفره ومنه ما يكون صريح الدلالة** فإذا أظهر الإنسان التوحيد بلسانه ولكنه منهمك في المعاصي فهذا دليل على ضعف توحيده فإذا بلغ به الحال إلى أن يقع في المكفرات والشرك فهذا دلالة على كذب نطقه بالتوحيد ويكون عمله أصرح من قوله ومقدم عليه، ولذا قدَّم ابن تيمية عمل الذي يُقتل على ترك الصلاة على قوله: إنه مسلم واعتبر قوله لاغيًا وحكم بكفره حيث يقول: (ولا يتصور في العادة أن رجلاً يكون مؤمنًا بقلبه مقرًا بأن الله أوجب عليه الصلاة

(١) صحيح السيرة للعمري ٢/ ٣٨٢.
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٥٥ ـ ١٥٦.
(٣) الحديث في سنن أبي داود برقم ٥٥٠ وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ١١٠.

ملتزمًا لشريعة النبي ﷺ وما جاء به يأمره ولي الأمر بالصلاة فيمتنع حتى يقتل ويكون مع ذلك مؤمنًا في الباطن قط لا يكون إلا كافرًا ولو قال أنا مقر بوجوبها غير أني لا أفعلها كان هذا القول مع هذه الحال كذبًا منه كما لو أخذ يلقي المصحف في الحش ويقول أشهد أن ما فيه كلام الله أو جعل يقتل نبيًا من الأنبياء ويقول: أشهد أنه رسول الله ونحو ذلك من الأفعال التي تنافي إيمان القلب فإذا قال: أنا مؤمن بقلبي مع هذه الحال كان كاذبًا فيما أظهره من القول فهذا الموضع ينبغي تدبره، **فمن عرف ارتباط الظاهر بالباطن زالت عنه الشبهة في هذا الباب**، وعلم أن من قال من الفقهاء: إنه إذ أقر بالوجوب وامتنع عن الفعل لا يقتل أو يقتل مع إسلامه فإنه دخلت عليه الشبهة التي دخلت على المرجئة والجهمية)(١).

ويقول ابن حجر: (**فمن أقر ـ أي بالشهادتين ـ أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر إلا من اقترن به ـ أي بإقراره ـ فعل يدل على كفره كالسجود للصنم**)(٢).

أي فعند ذلك لا اعتبار لقوله؛ لفقد الالتزام، ويقول النووي: فيمن ذبح لغير الله: (**فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًا**)(٣).

قلت: فإذا صار مرتدًا بالذبح الذي هو فعل، ودَلَّ على أنه لا اعتبار بنطقه بشهادة يكذبها بفعله.

ويقول الشيخ المعلمي في ذكره لشروط قبول لا إله إلا الله: (ومنها أن

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٦١٥.
(٢) فتح الباري ١/ ٤٤.
(٣) النووي ١٣ / ١٤١.

يكون النطق على سبيل الالتزام أي التزم أن يعمل طول عمره بمضمون كلمة التوحيد ولا يخالفها وأدلته أكثر من أن تحصى منها قول الله جل وعلا : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[١] .

وهذا كالتفصيل لكلمة التوحيد وفيه بيان الالتزام وسيأتي إن شاء الله تعالى تحقيق أن العبادة والإلهية متحدان أو متقاربان ، وأن الشرك هو عبادة غير الله عز وجل ـ ثم ذكر جملة من الآيات الدالة على دعوة الأنبياء ثم قال : وهذا كله بيان لدعوة الأنبياء وهو متضمن الالتزام لتصريحه بأن إرسال الرسل إلى قومهم كان لدعوتهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة غيره وإجابة الرسل معناها قبول ما أرسلوا به ، ولما جعلت الشهادة إعلانًا بقبول ما أرسل به الرسل كانت متضمنة التزام الشاهد ألا يعبد إلا الله . . . بل لو قيل بأن جانب الالتزام هو المغلب في شهادة أن لا إله إلا الله لما كان بعيداً)[٢] .

المسألة السادسة : أن السلف كانوا يفهمون أن الإيمان ببعض أنواع التوحيد لا يكفي بل لابد من الإيمان بجميع أنواع التوحيد كما قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣] أي : لا تشركوا به غيره من الأنداد التي لا تضر ولا تنفع وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره[٤] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ٦٤ .

(٢) من مخطوطة قيمة للمعلمي في مكتبة الحرم المكي بعنوان : العبادة ، مع ملاحظة أن بداخل المخطوطة عبارات لا تنسجم مع كلام المعلمي وربما أدخلها غيره فيها .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٢ .

(٤) الدر المنثور ١/ ٨٧ .

وقال قتادة: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: عدلاء وأنتم تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض (١).

* فهؤلاء المشركون كانوا يقرون بتوحيد الخالقية والرازقية والربوبية ولم يزل عنهم اسم الشرك لأنهم لم يوحدوا التوحيد الكامل وهذه المسألة واضحة كل الوضوح في القرآن والسنةوسيأتي لها مزيد إيضاح في آخر البحث.

المسألة السابعة: السلف يرون أن أعمال القلوب من أعظم أركان التوحيد وهي: إفراد الله بالقصد والإرادة والتوكل والحب والخوف والرجاء والانقياد والإنابة والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب ولذا نراهم لما خُوِّفوا بغير الله كان من أفضل أعمالهم التوكل على الله ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٢).

* وكانوا من أعظم الناس إخلاصًا وتجردًا مما جعل نفقتهم ليست كنفقة غيرهم كما قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**(٣).

* ولا شك أن هذا بسبب إخلاصهم بدليل صاحب البطاقة التي فيها لا إله إلا الله وأنها ترجح بجميع السيئات وكذلك المرأة البغي التي رحمت كلبًا عطشانَ فغفر لها بسبب ذلك وليس كل من قال لا إله إلا الله ولا كل من سقى كلبًا عطشانَ يحصل على تلك المزايا العظيمة إلا إذا قام بقلبه ما

(١) المصدر السابق ١/ ٨٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) فضائل الصحابة لابن حنبل ١/ ٥٠، وقال محققه: إسناده صحيح.

قام بقلوب أولئك [١] .

* ولأجل قوة توحيد الصحابة زال من قلوبهم الخوف من معبودات الجاهلية وقد كانوا قبل الإسلام يعظمونها ولا يجرؤون على امتهانها أو الطعن فيها، فلما أكرمهم الله بالتوحيد صاروا يتقربون إلى الله بإهانة تلك الأصنام فهذا جرير البجلي رضي الله عنه كسر صنم ذي الخلصة وحرقه حتى تركه كأنه جمل أجرب [٢] .

* وهذا خالد بن الوليد لما بعثه الرسول ﷺ لهدم صنم العزى خرج عليه الشيطان الذي يتلاعب بعقول المشركين داخل هذا الصنم في صورة امرأة حبشية سوداء ناشرة شعرها واضعة يديها على عاتقها وسادن الصنم ينشد في ابتهاج يقول :

عزي شدي شدة لا تكذبي — على خالد ألقي الخمار وشمري
فإنك ألا تقتلي اليوم خالدًا — تبوئي بذل عاجل وتنصري

وخالد يتقدم نحوها ويقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك — إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها وقتل سادن الصنم [٣] .

---

(١) انظر : مدارج السالكين ١/ ٣٣٢، ومنهاج السنة النبوية ٦/ ٢٧١ .
(٢) صحيح البخاري ٥/ ١١٢ .
(٣) انظر : الأصنام للكلبي ص٤٢، وذكره صاحب تحفة الأشراف ٤/ ٢٣٥ معزو إلى النسائي في الكبرى وحسّن الشيخ ربيع إسناده . انظر : منهج الأنبياء في الدعوة، ص٧١.

* وأما خضوع الصحابة للحق وانقيادهم له وشدة محبتهم لله ورسوله فأمر أشهر من أن أستدل عليه : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

* ولا شك أن التوحيد الذي قام بقلوب أهل بيعة الرضوان هو سبب رضوان الله عليهم : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٢) .

ولذا نرىٰ ابن القيم رحمه الله يشيد بذكر توحيد الله بأعمال القلوب فيقول بعد أن يصف الشرك الأكبر : (وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادىٰ المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلىٰ الله واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله علىٰ الله واستعانته بالله والتجاءه إلىٰ الله واستغاثته بالله وأخلص لله متبعًا لأمره متطلبًا لمرضاته ، إذا سأل سأل الله وإذا استعان استعان بالله وإذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله) (٣) .

المسألة الثامنة : السلف الصالح من أشد الناس حماية لجناب التوحيد

وذلك لعلمهم أنه لا يدخل الجنة إلا من جرد التوحيد لله . قال سبحانه :

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١٨ .

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٤٦ .

﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ (١)، وقال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٢). قال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله، وقال قتادة: سليم من الشرك، وقال ابن سيرين: أن يعلم أنه لا إله إلا الله (٣).

وقال حسان رضي الله عنه:

وأن ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد (٤)

* ولذا فقد اجتهدوا في سد كل منافذ الشرك التي تخدش في التوحيد اقتداء برسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن الأمثلة علىٰ هذا قصة عبدالله بن مسعود مع زوجته حيث تقول: جاء ذات يوم فرأىٰ في عنقي خيطًا قال: ما هذا الخيط ؟ قالت: قلت: خيط رقي لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبدالله لأغنياء عن الشرك (٥).

* وكذلك حذيفة رضي الله عنه دخل علىٰ مريض فرأىٰ في عضده سيراً فقطعه وانتزعه ثم قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (٦).

* ومر عبدالله بن مسعود بامرأة معها تسبيح تسبح به فقطعه وألقاه ثم مر برجل يسبح بحصىٰ فضربه برجله ثم قال: لقد جئتم ببدعة ظلمًا أو لقد

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢ .

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ـ٨٩ .

(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٠٨ .

(٤) تهذيب اللغة ١٣/ ٥١ .

(٥) أحمد ١/ ٣٨١، والحاكم ٤/ ٢١٧، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في السلسلة ١/ ٥١٤ .

(٦) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٢ .

غلبتم أصحاب محمد ﷺ علماً [١].

* وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جاء يقبل الحجر الأسود: (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)[٢]. وعمر رضي الله عنه إنما رفع صوته بهذا الكلام ليسمعه الناس فيزيل عندهم هذا البيان توهم أن الحجر الأسود يرجى من قبله شيء وليبين لهم أن الطائفين يفعلون ذلك من باب اتباع النبي ﷺ فحسب وأن النافع الضار إنما هو رب السماوات والأرض ورب الحجر الأسود وأن هذا التقبيل لا علاقة له بطلب نفع أو دفع ضر من قبل الحجر الأسود نفسه كما كانت ترجوه الجاهلية من معبوداتها عندما يتمسحون بها أو لئلا يعتقد أن الله ينزل في الحجر الأسود كما تنزل الشياطين في معبودات الكافرين وهم يظنونهم ملائكة أو أرواحاً صالحة للأولياء نزلت في الأصنام لتسمع مطالبهم وترفعها إلى الله.

* * *

(١) الدارمي ١/ ٦٨، والبدع لابن وضاح ص٨، قال صاحب النهج: صحيح، انظر النهج ص٥٣.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ٣/ ٣٧.

الباب الثاني

أقسام التوحيد ودحض شبه الملبسين

الفصل الأول : أقسام التوحيد عند الانفراد والخلو من القرينة.

الفصل الثاني : أقسام التوحيد عند الاقتران أو وجود القرينة.

الفصل الثالث : دحض شبه الملبسين .

الخاتمة .

الفهارس .

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)



الفصل الأول

أقسام التوحيد عند الانفراد والخلو من القرينة

الفصل الأول

أقسام التوحيد عند الانفراد والخلو من القرينة

لقد بينت فيما مضى المراد بالتوحيد في لغة العرب، وفي القرآن الكريم، وفي سنة المصطفى ﷺ، وفي فهم السلف الصالح، وتبين من ذلك أن المراد بالتوحيد: هو إفراد الله بأقوال يقولها اللسان، وبأعمال تقوم بالقلوب وبأعمال تفعلها الجوارح، فأما أقوال اللسان: فهي أن يتلفظ العبد بإفراد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله فيثبت حقائقها اللائقة به سبحانه له، وينفي عنه مشابهة المخلوقات والمعدومات والممتنعات، وإذا عبر عن هذا بكلمة التوحيد أو ما يدل على معانيها كفاه في الدخول في الإسلام. وأما أعمال القلب: فهي أن يفرد العبد الله بتصديقه وبحبه وخضوعه وذله وخوفه وانقياده وإنابته ورجائه وتوكله وتعظيمه واستعانته واستغاثته وقصده وإرادته وما يشبه هذا من أعمال القلوب، ومعنى أن يفرده بها أي بغاياتها وأعظمها وأعلاها التي لا تكون إلا لله.

* وأما أعمال الجوارح: فهي أن يفرد العبد الله بأعمال الجوارح الظاهرة التي يفعلها تدينًا فلا تكون إلا لله كالصلاة والركوع والسجود والحج والصدقة والذبح والنذر، والجهاد ونحو ذلك. ولا شك أن أقوال اللسان وأعمال الجوارح إنما تكون توجيهها عن طريق القلب، فإن الإنسان حي متحرك بالإرادة في حال عقله، فهو لا يلفظ قولاً ولا يعمل عملاً إلا وله فيه إرادة إلا في حالات فقد العقل، وهذا الذي يجعل صلاح القلب أساسًا

لصلاح الأقوال والأعمال كما قال الرسول ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»** (١).

* ورغم أهمية عمل القلب إلا أن التوحيد لا يكون بالقلب فقط، وإنما يكون به وباللسان وبالجوارح **كما قال الشافعي**: (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر)(٢).

والإيمان والتوحيد معناهما واحد عند الإطلاق كما أن الإيمان والإسلام أيضًا معناهما واحد عند الإطلاق كما تقدم.

ويقول ابن القيم: (ورحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية، وبيانها: أن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح وعلى كل منها عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح)(٣).

وهذا الذي قاله ابن القيم مستنبط من كتاب الله تعالى حيث قال الله عز وجل: **﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾** (٤).

فإن هذه الآيات تبين أن أحوال العبد في عبادته وحال حياته حتى مماته كلها لله سبحانه وتعالى، وحق لهذه الآية أن يعرف السلف دلالتها العظيمة

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٩.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧/ ٢٠٩.

(٣) مدارج السالكين ١/ ١٠٩.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ ـ ١٦٣.

علىٰ تجريد التوحيد في كل شؤون الحياة حتىٰ قال بعضهم: وددت أن كل مسلم يقرأ هذه الآية مع ما يقرأ من كتاب الله[1]، بل عرف عظم شأنها قبلهم رسول الله ﷺ كما روىٰ مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلىٰ الصلاة قال: **«وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلاأنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك»**[2].

* ومما تقدم يظهر أن التوحيد ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: توحيد القلب وتوحيد القول وتوحيد العمل، ويمكن أن تجعل القسمة ثنائية فيقال: توحيد القول وتوحيد العمل وذلك لأن توحيد القلب ينقسم إلىٰ قسمين: قول القلب وهو تصديقه وعمل القلب وهو حبه وخضوعه وانقياده. فعلىٰ هذا نقول: توحيد القول يكون باللسان كالشهادة لله بالتوحيد وهي التي كان رسول الله ﷺ يأمر بها الناس عندما يدعوهم إلىٰ الإسلام كما قال لعمه أبي طالب: **«يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله»**[3].

* ويكون القول بالقلب، وقوله إنما هو تصديقه، ويدل علىٰ ذلك حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله في سرية فصبحنا

---

(١) الدر المنثور ٣/ ٤١٠.

(٢) مسلم مع النووي ٦/ ٥٧.

(٣) صحيح مسلم مع النووي ١/ ٢١٤.

الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً فقال لا إله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ، «**قال: لا إله إلا الله، وقتلته**؟ قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح قال: أفلا شققت عن قلبه حتىٰ تعلم أقالها أم لا . . ؟ الحديث »(١).

* فنسب الرسول ﷺ القول إلىٰ القلب وهو يريد أصدق في قولها أم قالها خوفًا من السلاح لأن أسامة غلب علىٰ ظنه أنه لم يصدق في قولها وإنما يريد أن ينجو من القتل، ولكن هذا الاحتمال الذي غلب علىٰ ظن أسامة والذي عذره الرسول ﷺ لأجله، فلم يقم عليه القصاص ليس أقوىٰ في الدلالة من قول الرجل بلسانه لا إله إلا الله «**بخلاف ما لو قالها وهو يمارس الشرك كما سبق أن بينته**».

* وبناء علىٰ هذا فإن للقلب قولاً وهو التصديق وأما توحيد العمل فيكون بالقلب كما قال الله تعالىٰ: ﴿ **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾(٢)، وقال: ﴿ **مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ** ﴾(٣). وقال: ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾(٤)، وقال: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾(٥)، وقال﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن**

---

(١) وقال النووي: حتىٰ تعلم أقالها أم لا؟ الفاعل في قوله أقالها: هو القلب، انظر: النووي مع مسلم ٢/ ١٠٤.
(٢) سورة الصافات، الآيتان: ٨٣ ـ ٨٤.
(٣) سورة ق، الآية: ٣٣.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٦.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢.

رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾[١]، وقال: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٢] . وقال ﷺ: « **إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** »[٣].

* ويكون توحيد العمل بالجوارح كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٤]، وكما قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[٥]، وقال: ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[٦] ، وقال: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[٧]، وقال ﷺ: «**من صلى البردين دخل الجنة**»[٨] ، وقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[٩].

* وإذا كان التوحيد ينقسم إلى قسمين إجمالاً وهما توحيد القول وتوحيد العمل، فإنه يمكن أن يقسم تفصيلاً إلى أربعة أقسام وهي: توحيد القول باللسان، وتوحيد القول بالقلب، وتوحيد العمل بالقلب، وتوحيد العمل بالجوارح، وهذه الأقسام متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض إلا في

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥٤ .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٣ .

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٧ .

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٥) سورة الكوثر، الآية: ٢ .

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨ .

(٧) سورة البقرة، الآية: ٤٣ .

(٨) صحيح مسلم مع النووي ٣/ ٥٣١ .

(٩) المصدر السابق ١٣/ ٤٩ .

حال الإكراه أو حال العجز وبيان ذلك ما يلي :

* لو وحد شخص بلسانه **فتلفظ بلا إله إلا الله ولكنه لم يوحد بقلبه** فلم يصدق ولم يخضع وينقد ولم يعمل بجوارحه **فتوحيده باطل ومن هذا الجنس المنافقون**، فإنهم وحدوا بألسنتهم ومع هذا شهد الله بكذبهم إذ قال سبحانه : **﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾**(١) .

* وكذلك **لو وَحّد بجوارحه** فصام وصلىٰ وأدىٰ الزكاة، **ولكنه لم يوحد بقلبه لم يُقبل منه التوحيد وهكذا المنافقون** كان يصلون ويصومون مع المسلمين ولكن لما كانت قلوبهم مكذبة برسول الله ﷺ **أو مستكبرة عن اتباعه حسدًا وحقدًا لأنهم فقدوا رئاستهم**(٢) **بسببه فلم يقبل منهم توحيد العمل بالجوارح عندما فُقِد توحيدُ القلب** .

* وكذلك لو وحد الشخص بقول القلب ولكنه لم يوحد بلسانه فإنه لا يقبل منه لأن التلفظ بالشهادتين شرط في الإسلام على القادر كما قال النووي : اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن

---

(١) سورة المنافقون، الآيات : ١ ـ ٣ .

(٢) يقول سعد بن عبادة لرسول الله ﷺ عندما أغلظ رأس النفاق بالمدينة القول لرسول الله ﷺ : اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، انظر : صحيح مسلم ٥/ ١٨٢ ، وهذا يدل على أن سبب نفاقه هو الحقد لضياع الرئاسة عليه بمجيء رسول الله ﷺ .

الذي يحكم بأنه من أهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازمًا خاليًا من الشكوك ونطق بالشهادتين **فإن اقتصر على أحدهما لم يكن من أهل القبلة أصلاً إلا إذا عجز عن النطق لخلل في لسانه**(١) .

* **ويقول ابن القيم:** (إن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل **والقول قسمان** : قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح . فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء؛ فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، **وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق** . . . **فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب**، وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سراً وجهراً ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به، **وإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح**)(٢) .

وقال ابن تيمية: (والتصديق من الإيمان ولابد أن يكون مع التصديق شيء من حب الله وخشيته وإلا فالتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس إيمانًا ألبتة بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس وهذا هو الذي أنكره السلف على الجهمية)(٣) .

---

(١) شرح النووي ١/ ١٤٩ .

(٢) كتاب : الصلاة لابن القيم، ص٥٤ .

(٣) مجموع الفتاوىٰ .

فهذه الأقسام التوحيدية التي سبقت إذا أطلق التوحيد فإن المراد به تحقق مجموعها وذلك لتلازمها ولأن أحدها إذا انفرد لا يكون توحيداً على الحقيقة كما قال الرسول ﷺ عند ذبح أضحيته : « **بسم الله والله أكبر اللهم عن محمد وأمته من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ**»(١) . ومن المعلوم أن المنافقين الذين يشهدون بالتوحيد بألسنتهم لا تنالهم هذه الأضحية وإنما تنال من تحققت فيه أقسام التوحيد الأربعة السابقة .

* ويمكن أن يقسم التوحيد من الناحية اللفظية بتقسيم آخر فيقال : توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في القصد والطلب ، فيكون توحيد المعرفة والإثبات شاملاً لتوحيد اللسان الذي هو قوله ، ولبعض توحيد القلب الذي هو قوله وهو التصديق ، ويكون توحيد القصد والطلب شاملاً لبعض توحيد القلب الذي هو عمله وهو نيته وإخلاصه وقصده وإرادته . . . إلخ . شاملاً لأعمال الجوارح التي يطلب العبد بها مرضاة الله تبارك وتعالى . فاختلف التقسيم هنا عن التقسيم الأول من الناحية اللفظية ولكن الحقيقة والمضمون ثابت لا يتغير .

* ويمكن أن يقسم التوحيد بتقسيم آخر فيقال : توحيد الله بأفعاله ، وتوحيد الله بأفعال المكلفين فيشمل النوع الأول : توحيد الله بجميع كمالاته من أسمائه وصفاته وما اشتملت عليه من أفعاله سبحانه ، فهو خالق لأنه يخلق وسميع لأنه يسمع ورحيم لأنه يرحم وعزيز لأنه يعز . . . إلخ . فيكون هذا النوع شاملاً لتوحيد اللسان من الثناء على الله بكمالاته والاعتراف له بها وإفراده بها ، ويكون النوع الثاني شاملاً لتوحيد القلب وتوحيد الجوارح فهي كلها أعمال للمكلفين فيتوجهون بها إلى الله ويقصدون

(١) سنن البيهقي ٩/ ٢٦٨ ، وحسنه الألباني في إرواء الغليل ٤/ ٣٥١ .

بها الله ويفردونه بأكملها وأعلاها وأعظمها، فاختلف التقسيم من الناحية اللفظية عما قبله ولكن الحقيقة والمضمون ثابت لم يتغير، وهذه التقسيمات السابقة متعلقة بما يقوم بالمكلف من التوحيد .

* ويمكن أن يقسم التوحيد بتقسم آخر، فيقال: توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وهذا التقسيم باعتبار ما يتعلق بالله سبحانه، فإن الأسماء والصفات لله والربوبية لله والألوهية له، وهذه الأقسام الثلاثة متلازمة وكل واحد منها يشمل بقية الأقسام وذلك عند الإطلاق والخلو من القرينة مثال ذلك: توحيد الأسماء والصفات، فإن الربوبية والألوهية داخلتان فيه وذلك لأن الرب والإله بالتعريف قد وردت أسماء لله، فقد قال الرسول ﷺ: « **فأما الركوع فعظموا فيه الرب**»[١]، وقال ﷺ: « **رضى الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد**»[٢].

وأما في الإضافة فهو كثير كقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وأما اسم الإله بالتعريف فقد جاء في قول خبيب :

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ولم ينكره الرسول ﷺ ولذا احتج به البخاري في صحيحه[٣].

وأما في الإضافة فقد جاء في تلبية رسول الله ﷺ : «**لبيك إله الحق**»[٤].

يقول ابن القيم: (إن صفات الرب جل جلاله داخلة في مسمى اسمه فليس اسمه «**الله**» و«**الرب**» و«**الإله**» أسماء لذات مجردة لا صفة لها ألبتة،

---

(١) سبق تخريجه، ص٦٤ .
(٢) السلسلة الصحيحة للألباني ٢/ ٤٥ .
(٣) صحيح البخاري ٨/ ١٧١ .
(٤) سنن ابن ماجه برقم ٢٩٢ . وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢/ ١٥٥ .

فإن هذه الذات المجردة وجودها مستحيل وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها، واسم الله سبحانه والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال)(١).

* فإذا ثبت أن الرب والإله من أسماء الله وكل اسم فهو دال على صفة كما هو معلوم صار توحيد الربوبية والألوهية داخل في توحيد الأسماء والصفات عند الإطلاق، وهذا ما يفسر لنا أن كتب السلف الأقدمين في التوحيد كالبخاري وابن منده وابن خزيمة تبسط الأدلة عن الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى بسطًا كاملاً، ويعتبرون هذا كافيًا في إيضاح حقيقة التوحيد بكل أنواعه، وإنما أفرد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بالذكر عند بعضهم من باب عطف الخاص على العام لأهمية هذا الخاص كما في قوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾(٢).

يقول ابن القيم عن سورة الفاتحة: (واعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها أكمل تضمن فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها ومدارها عليها وهي: الله، والرب، والرحمن)(٣).

ويزيد ابن القيم صفة رابعة وهي صفة الملك فيجعل مدار الأسماء والصفات على هذه الأربع فيقول: (. . . صفة الإلهية والربوبية والرحمن والملك، وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات)(٤).

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣٦٢ .
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨ .
(٣) مدارج السالكين ١/ ٢٥ .
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٥ .

* **وكذلك توحيد الألوهية إذا أطلق شمل التوحيد كله** وذلك لأن توحيد الألوهية تقرره شهادة أن لا إله إلا الله وهي كافية في التوحيد كما قال الرسول ﷺ : « **بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**» (١) . فهذه الخمس هي مباني الإسلام العظام فلو لم يكن توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية داخلين في معنىٰ لا إله إلا الله لقام الإسلام بدونهما وهذا لا يمكن أبداً . فهل يقوم إسلام من يقول هناك خالقٌ غير الله ورازق غير الله وينفي عن الله أسماءه وصفاته؟ وكذلك يقول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ (٢) .

* فلو لم يكن توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية داخلين في قوله : (**لا إله إلا أنا**) لكانت جميع دعوات الأنبياء لا تشمل الدعوة إلىٰ توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية، وهذا أمر ظاهر البطلان، ويقول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ** ﴾ (٣)، قال النحاس : في الكلام حذف : أي لو كانت معه آلهة لانفرد كل إله بخلقه(٤)، وهذا يدل علىٰ أن الإله الحق لابد أن يخلق والخلق من توحيد الربوبية، فيكون معناه جزءاً من معنىٰ الألوهية .

ويقول ابن تيمية: (فدين الإسلام مبني علىٰ أصلين من خرج عن واحد

(١) صحيح البخاري ١/ ٨ .
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥ .
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩١ .
(٤) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٨٢ .

منهما فلا عمل له ولا دين : **أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وعلى أن نعبده بما شرع لا بالحوادث والبدع**، وهو حقيقة قول : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب عبادة، واستعانة، ومحبة، وتعظيمًا، وخوفًا، ورجاء، وإجلالاً وإكرامًا، وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله ولا يدعىٰ إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يطاع إلا الله، والرسول هو المبلغ عن الله طاعته وأمره ونهيه وتحليله وتحريمه)[1] .

* فهذا يدل علىٰ أن ابن تيمية يرىٰ أن عبادة الله وحده شاملة لتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ولو كانت عبادة الله وحده لا يدخل فيها توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكانا غير داخلين في أصلي الإسلام اللذين بينهما، وتوحيد العبادة هو توحيد الألوهية كما سبق أن بينت روايات حديث معاذ عندما بعثه الرسول ﷺ إلىٰ اليمن فدعاهم إلىٰ توحيد الله وإلىٰ عبادة الله، وإلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، والروايات تؤدي معنىٰ واحدًا شاملاً لكل أقسام التوحيد وإلا لكان معاذ لم يبلغهم شيئًا يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية .

* ولا شك أن الذي يصف الله بكمالاته، وينفي عنه النقائص والعيوب **إنما يعبد الله عبادة لسانية عظيمة**، والذي يحب ذلك الرب المتصف بتلك الصفات العظيمة ويحب رسله وشرعه **إنما يعبد الله عبادة قلبية عظيمة**، والذي يخضع لله بجوارحه ساجدًا، وراكعًا، وطائفًا بالبيت، وذابحًا لهديه، ومقاتلاً لأعداء دينه **إنما يعبد الله عبادة عظيمة بجوارحه**، فتبين أن توحيد العبادة يشمل توحيد القول وتوحيد العمل، ويشتمل توحيد المعرفة

---

(١) تلخيص الاستغاثة لابن تيمية ص٥٢ .

والإثبات، ويشمل توحيد القصد والإرادة، ويشمل توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، وتسمية توحيد العبادة بتوحيد الألوهية يأتي من أن أصل التأله هو: التعبد، والتعبد: آخر مراتب الحب ولا يصل الإنسان إلى هذه المرتبة إلا إذا كان المحبوب قد ملك رقه، فلم يبق له شيء من نفسه ألبتة، ولذا وصف بهذه المرتبة أفضل البشر وهو في أشرف مقاماته فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾(١)، والإله هو الذي يألهه العباد حبًا وذلاً وخوفًا ورجاء وتعظيمًا وطاعة له (٢).

* وتوحيد العبادة ليس مأخوذًا من الحب فحسب وإنما من الذل والخضوع أيضًا؛ لأن العرب تقول: طريق معبد أي قد ذللته الأقدام بالوطء، وفلان عبد لفلان أي مملوك له وفلان عابد لفلان أي خاضع له (٣).

* وكل هذه المعاني داخلة في توحيد العبادة، فالعبد مملوك لله وخاضع له غاية الخضوع ومطيع له غاية الطاعة ومحب له غاية المحبة.

* والله والإله بمعنى واحد، لأن أله أصله ولاه فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح: إشاح، وللوجاج أجاج، ومعنى ولاه: أن الخلق إليه يولهون في حوائجهم، ويفزعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم كما يوله كل طفل إلى أمه (٤).

* وهذا الذي هذه صفته يملك حبه القلوب لأنه هو الذي ينجيها من كربها ويحقق لها مقاصدها ولا تسكن إلا به وإليه فهي متعبدة له.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٣/ ٢٦.

(٣) لسان العرب ٣/ ٢٧٤.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٤٢٣.

* **يقول ابن القيم** مثبتًا صفة الإلهية لله سبحانه ورادًا على من زعم أن اسم الله غير مشتق: زعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي: أن اسم الله غير مشتق لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألمَّ بقلوبهم وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم، والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه الله، ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله.

* وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعًا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة، وقول سيبويه: إن الفعل أمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء هو بهذا الاعتبار، لأن العرب تكلموا بالأسماء أولاً، ثم اشتقوا منها الأفعال، فإن التخاطب بالأفعال ضروري كالتخاطب بالأسماء لا فرق بينهما، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي وإنما هو اشتقاق تلازم، سمي المتضمن بالكسر مشتقًا والمتضمن بالفتح مشتقًا منه ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى) (١).

* **ويبين ابن القيم** أيضًا بأن صفة الإلهية مرتبطة باسم الله فيقول: (... إن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي

---

(١) بدائع الفوائد ١/ ٢٢.

اشتق منها بالمطابقة فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة الأخرى باللزوم... فاسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه، وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾(١).

* ويقال: الرحمن والرحيم والقدوس والسلام والعزيز والحكيم من أسماء الله ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك. فعلم أن اسمه الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله، واسم الله دال على كونه مألوها معبودًا تأله الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد وإلهيته وربوبيته ورحمانيته، وملكه مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أفعاله)(٢).

ويقول ابن تيمية: (وإقراره بألوهية الله تعالى دون ما سواه يتضمن إقراره بربوبيته، وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره)(٣).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٣١ وما بعدها.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٢٥.

* وكذلك **توحيد الربوبية يأتي شاملاً لأنواع التوحيد كلها** مثال ذلك قول الله تبارك وتعالىٰ: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾** (١) .

* فإن الربوبية هنا شاملة لأنواع التوحيد كلها فإنهم لم يخرجوهم لأنهم يقولون خالقنا الله فحسب وكذلك قوله تعالىٰ: **﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾** (٢)، فإنه لم يقل خالقي الله فحسب وإنما دعاهم إلىٰ التوحيد كما هي دعوة الأنبياء جميعًا وكذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما أقبل عُقبة ابن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله ﷺ فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر حتىٰ أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) (٣) .

* **ومن المعلوم أن الرسول ﷺ جاء بالتوحيد كاملاً** ، وأن حرب قريش له وعدوانهم عليه ليس لأنه يقول: الله خلقني فحسب. وكذلك سؤال الملكين للميت في قبره عندما يقولان: من ربك؟ (٤)، ليس المراد من الذي خلقك؟ وإنما السؤال يكون عن التوحيد، بدليل أنه جاء في بعض روايات الحديث ما كنت تعبد؟ فإن هداه الله قال: كنت أعبد الله، وجاء في بعض الروايات أنه إن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله) (٥) .

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ـ٤٠ .

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨ .

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٢٤٠ .

(٤) مسند أحمد ٤/ ٢٩٦، وقد صحح الحديث الحاكم الذهبي وابن القيم والألباني، انظر: أحكام الجنائز للألباني ص١٥٩ .

(٥) انظر: فتح الباري ٣/ ١٨٨ .

يقول ابن تيمية عن توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية أن أحدهما يتضمن الآخر عند الانفراد [١].

ويقول الشيخ الهراس : فتوحيد الربوبية . . . . مستلزم لتوحيد الإلهية والعبادة [٢].

* غير أن هنا مسألة لابد من إدراكها وهي أن توحيد الربوبية يختلف عن توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية فقد يطلق توحيد الربوبية ولا يشمل توحيد الألوهية ولا توحيد الأسماء والصفات، والذي يحدد هذا الإطلاق هو السياق الذي يرد فيه، والربوبية إنما تكون شاملة للألوهية والأسماء والصفات عندما تأتي في سياق ما يحبه الله ويرضاه، أو إذا وقع السؤال بها من الأنبياء وأتباعهم، أو إذا أضيفت إلىٰ المؤمنين الصادقين ولذا نجد أدعية الأنبياء في القرآن باسم الرب غالبًا [٣].

* ويمكن أن يقسم التوحيد من الناحية اللفظية إلىٰ أقسام غير ما تقدم **فيقسم إلى أربعة أقسام وهي** : توحيد الربوبية و توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء وتوحيد الصفات، وصنيع ابن منده في كتابه : التوحيد، يشعر بشيء من هذا [٤]، وهذا التقسيم هو من الناحية اللفظية وإلا فالمضمون والمحتوىٰ ثابت لم يتغير فالمصنفون يختلفون في التصنيف فبعضهم يوجز ويجمع الأقسام إلىٰ بعضها وبعضهم يفصل ويسمي بعض أجزاء في التوحيد توحيداً نظراً لكثرة الانحراف فيها في زمنه فينص عليها بالذكر للفت انتباه

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٢٨٤ .

(٢) دعوة التوحيد للهراس، ص٨٣ .

(٣) انظر : القواعد الحسان للسعدي، ص١١٢ .

(٤) كتاب : التوحيد لابن منده ١/ ٢٧ .

الناس إليها، كما ذكر ابن تيمية: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وذكر توحيد السؤال والطلب وتوحيد التوكل [١].

* ومن المعلوم أن توحيد السؤال والطلب والتوكل مرجعه إلىٰ توحيد الألوهية وأن ذكره من باب عطف الخاص علىٰ العام لغرض عند المتكلم يريده من إبراز الخاص بالذكر.

وكذلك الصنعاني يقول: توحيد الربوبية، والخالقية، والرازقية وتوحيد العبادة [٢]، ومن المعلوم أن توحيد الخالقية والرازقية من توحيد الربوبية.

* وهذا ابن القيم عندما يستعرض أنواع الشرك يذكر منها سجود المريد للشيخ وركوعه له وحلق الرأس للشيخ والتوبة للشيخ والنذر لغير الله والخوف من غير الله والتوكل علىٰ غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غير الله وحمد غير الله علىٰ رزق الله وطلب الحوائج من الموتىٰ والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، ثم يقول: والشرك أنواع كثيرة لا يحصيها إلا الله [٣].

* **ومن المعلوم أن الشرك ضد التوحيد وكل نوع من الشرك يقابله نوع من التوحيد** فلو قسم التوحيد بتقسيمات كثيرة، فقيل: توحيد الخوف، وتوحيد الرجاء وتوحيد التوكل ونحو ذلك، فلا إشكال في هذا ولا محظور فهو من باب التفريعات اللفظية، وإلا فالحقيقة ثابتة لا تتغير وهي توحيد الله بالعبادات القولية التي تقوم باللسان والقلب، والفعلية التي تقوم بالقلب والجوارح وتوحيده بكمالاته التي لا يشابهه فيها شيء من خلقه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ ١٠/ ٢٧٨.

(٢) تطهير الاعتقاد، ص٦.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٤٤ـ٣٤٧.

* ومما تقدم ظهر لنا أن كل قسم من أقسام التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات إذا ذكر منفردًا في حق المؤمنين الصادقين ، ولم تكن هناك قرينة تقصره على بعض معاني التوحيد استلزم بقية الأنواع ، **وأن التقسيمات اللفظية لأنواع التوحيد وأنواع الشرك لا يشترط أن تتحد فيها عبارات المصنفين، وليست من مسائل الإنكار والتخطئة ما دام أن الحقيقة والمضمون للتوحيد متفق عليها**، وأنها شاملة لتوحيد القول وتوحيد العمل أي القول باللسان وبالقلب والعمل بالقلب وبالجوارح كما تقدم إيضاحه وإنما الذي يُخَطَّأ ويُنكَر عليه من يأتي بتقسيمات لا تشمل كل حقيقة التوحيد .

* * *

الفصل الثاني

أقسام التوحيد عند الاقتران
أو وجود القرينة

الفصل الثاني

أقسام التوحيد عند الاقتران أو وجود القرينة

تكلمت في الفصل السابق عن معاني أقسام التوحيد عندما يفرد كل قسم منها بالذكر أو تكون هناك قرينة تقصره على بعض معاني التوحيد .

وفي هذا الفصل يكون الكلام عن معاني أقسام التوحيد إذ ا اقترن مع القسم الآخر في الذكر أو كان في السياق قرينة تصرفه إلى بعض معانيه . فمن الأمثلة على ورود بعض أنواع التوحيد منفردة في الذكر ومع هذا لم تشمل بقية أنواع التوحيد لوجود قرينة في السياق ما يلي :

١) ورود الألوهية أحيانًا والربوبية غير داخلة فيها :

كما في قوله سبحانه حكاية عن قول بني إسرائيل : ﴿**يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ (١) .

* فإن الألوهية هنا لا تشمل كل معاني الربوبية فإن من أعظم معاني الربوبية الخلق وهؤلاء قد خلقوا وهم يتكلمون مع موسى ومن غير المعقول أن يقولوا اجعل لنا خالقًا وإنما أرادوا بالإله المعبود الذي يعكف عليه الكفار يرجون من قبله الشفاعة والبركة والنصر ونحو ذلك مما يرجوه الكافرون من أصنامهم ، وكذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٨ .

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [١]، فإنه لا يمكن أن يكون اتخذ هواه خالقًا وإنما المراد أنه جعل هواه مطاعًا متبعًا. كلما هوىٰ شيئًا ركبه كما قال ابن عباس: ذاك الكافر اتخذ دينه بغير هدىٰ من الله ولا برهان، وقال: كان الرجل من العرب يعبد الحجر فإذا رأىٰ أحسن منه أخذه وألقىٰ الآخر .

وقال قتادة : لا يهوىٰ شيئًا إلا ركبه لا يخاف الله عز وجل[٢].

ففي الآيات السابقة جاءت الإلهية ببعض المعاني التي اشتملت عليها لا إله إلا الله ولم تأت بجميعها والذي يوضح الأمر ويبينه السياق الذي سيقت فيه .

٢) ورود الربوبية والألوهية غير داخلة فيها :

كقول إبليس الذي حكاه الله عنه : ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣].

٣) ورود الربوبية بمعنى بعض أنواع الألوهية :

كقول الشاعر الجاهلي عندما رأىٰ الثعلب يبول علىٰ رأس الصنم الذي يحرسه :

أَرَبٌّ يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فإن الربوبية هنا ليست شاملة لكل معاني الربوبية فإن الشيطان وإن كان يعترف لله بالربوبية بمعنىٰ أنه خالقه إلا أنه مستكبر علىٰ أمره منتقص لحكمته

---

(١) سورة الجاثية، الآية : ٢٣ .

(٢) الدر المنثور ٧/ ٤٢٦ .

(٣) سورة الحجر، الآية : ٣٦ .

وهذا قدح في الربوبية والألوهية وكذلك الشاعر الجاهلي يعلم أن الصنم ليس ربًا بمعنى أنه الخالق بدليل بول الثعلب عليه وبدليل كون الشاعر هو الذي يقوم بحراسته وإنما أراد الشيطان والشاعر الجاهلي بعض معاني الربوبية.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾(١)، وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾(٢)، لا يدخل في معنى الرب هنا الخالق وهذا واضح من السياق، ومن الأمثلة على اختلاف المعاني عند الاقتران بالعطف أو في الذكر ما يلي:

١) مثال العطف: كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٣) يقول ابن تيمية: (فإن قيل: فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلاً في اسم العبادة فلماذا عطف عليها غيرها كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾(٤) وقول نوح: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾(٥) وكذلك قول غيره من الرسل. قيل: هذا له نظائر كما في قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٦) وكذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾(٧) وإيتاء ذي القربى هو من العدل والإحسان . . . وهذا الباب يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر فيعطف عليه تخصيصًا له بالذكر: **لكونه مطلوبًا بالمعنى العام والمعنى الخاص**

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٩ .
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١ .
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥ .
(٤) سورة هود، الآية: ١٢٣ .
(٥) سورة نوح، الآية: ٣ .
(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥ .
(٧) سورة النحل، الآية: ٩٠ .

وتارة تكون دلالة الاسم تتنوع بحال الانفراد والاقتران فإذا أفرد عم وإذا قرن بغيره يخص: كاسم الفقير والمسكين . . . **وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة: تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام . . . وتارة لكون العام فيه إطلاق قد لا يفهم منه العموم)** (١) .

٢) ومن الأمثلة على اختلاف المعاني عند الاقتران في الذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ** ﴾ (٢) فلا شك أن تكرير كلمة رب الناس ومالك الناس وإله الناس تشعر أن كل واحدة منها لها معنى خاص ولو جاءت منفردة لكان لها معنى أشمل من هذا المعنى الخاص **يقول ابن عبدالوهاب:** (فأما توحيد الربوبية فهو الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ (٣) . . . وأما الفرق بينهما: فإن أفرد أحدهما مثل قوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾(٤) فهو توحيد الإلهية وكذلك إذا أفرد توحيد الإلهية مثل قوله: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾(٥) وأمثال ذلك، **فإن قرن بينهما فسرت كل لفظة بأشهر معانيها** كالفقير والمسكين)(٦) .

* ومعنى كلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب: **أن اللفظة تُفسَّر بأشهر**

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٢) سورة الناس، الآيات: ١ ـ ٣ .

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٧ .

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٠ .

(٥) سورة محمد، الآية: ١٩ .

(٦) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: القسم الخامس: مسائل شخصية، ص١٢١ .

معانيها في حال الاقتران وتُفسَّر بكل معانيها في حال الانفراد، قلت: **والقرينة اللفظية أو الحالية تُقَيِّد المعنى كحال الاقتران فتفسر بما يناسبها سواء كان المعنى من أشهر معاني اللفظة أم لا،** فإن من أشهر معاني الربوبية الخلق ومع هذا لا يفسر به قوله تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[1] وإنما تحمل علىٰ معنىٰ آخر من معاني الربوبية لدلالة السياق علىٰ المراد، والشيخ نفسه فسر الربوبية بالألوهية في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[2]، حيث قال: هذه الربوبية هي الألوهية[3]، والألوهية هي التي دلت عليها لفظة الشهادة ولفظة الشهادة قد دلت علىٰ جميع أنواع التوحيد كما يقول ابن القيم عن سورة الفاتحة: (فصل في اشتمال هذه السورة علىٰ أنواع التوحيد التي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم)[4].

* والرسل اتفقوا علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله كما تقدم؛ فنتج عن هذا أن الربوبية الكاملة تشمل معنىٰ الألوهية والألوهية تشمل أنواع التوحيد جميعًا وأن الربوبية التي يسلم بها الكفار ليست كاملة بل ناقصة ومن قال من العلماء بأن الكفار آمنوا بتوحيد الربوبية لم يقصد الإيمان الكامل بكل معاني الربوبية فإن الرب علىٰ الحقيقة هو الذي يستحق العبادة وحده وإنما يريد أنهم آمنوا بأصله وأساسه وهو الخلق والرزق والتدبير علىٰ غبش في هذا الإيمان كما أنهم يؤمنون بشيء من صرف العبادات له فيعبدون الله ببعض التعبدات كما سيأتي ولكنهم لا يخلصون له التوحيد فبطل توحيدهم بسبب هذا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١ .

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ: القسم الرابع: التفسير، ص٢٤٣ .

(٤) مدارج السالكين ١/ ٢٤ .

الشرك ولذا قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: فأما توحيد الربوبية فهو الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه[١]، ومما يوضح هذا الأمر أن صفات الله وأفعاله داخلة في مسمىٰ توحيد الربوبية فمن أشرك فيها فقد أشرك في الربوبية ولذا فمن اعتقد في مخلوق أنه يعلم الغيب أو أنه يتصرف بنفع أو ضر في شيء لا يقدر عليه إلا الله فإنه قد أشرك في الربوبية وكذلك من اعتقد في الأسباب أن تأثيرها حتمًا لا محالة واقع كالذين ينسبون المطر إلىٰ الأنواء والمرض إلىٰ العدوىٰ ويعتقدون أن تأثيرها لا يتخلف مطلقًا وأنها لا ترتبط بإرادة مسببها وهو الله فإنما يشركون في الربوبية ومن هذا أيضًا استبعاد المشركين للبعث لاعتقادهم عجز الرب سبحانه عن خلقهم بعد أن تبلىٰ عظامهم مما يدل علىٰ أن إيمانهم بخلق الله للأشياء ليس كاملاً، وأما الفلاسفة المتأثرون بقول أرسطو فإنهم يرون العالم قديمًا ولا يؤمنون بأن الله خلقه وإنما يزعمون أن العالم تحرك شوقًا ليتشبه بالمحرك الأول[٢].

* وبهذا يظهر أن إطلاق كلمة: أن المشركين يؤمنون بتوحيد الربوبية يحتاج إلىٰ قيد، كأن يقال: في الجملة، أو يقال يؤمنون بأساس توحيد الربوبية، أو يقال: يؤمنون بالخلق والرزق، أو نحو ذلك، وعبارات ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبدالوهاب التي يذكرون فيها أن المشركين يؤمنون بتوحيد الربوبية، يظهر منها أنهم يريدون هذا المعنىٰ الذي أشرت إليه وبتأمل سياق كلامهم يتضح الأمر، ولا شك أن سياق الكلام الذي يحدد المعنىٰ المراد يقوم مقام القيد، فهذا ابن تيمية يتكلم عن قضية إثبات خالقين للعالم متماثلين ثم ينفي هذه القضية ويقول: لم يذهب إليها أحد من الآدميين،

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد: القسم الخامس، ص١٢١ .

(٢) انظر: ص٢٨ مقدمة عن قضية التوحيد بين الدين والفلسفة للجليند .

ويحتج بالآيات التي فيها اعتراف المشركين بالخلق كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (١).

ثم يبين أنَّ أهل الكلام والفلسفة يظنون أن هذا غاية التوحيد ثم يقول: إنَّ هذا التوحيد الذي هو عندهم ـ يعني المتكلمين والفلاسفة ـ غاية التوحيد قد كان مشركو العرب يقرون به (٢).

وهذا يدل علىٰ أنه يتكلم عن أساس توحيد الربوبية ويتكلم عن مشركي العرب وليس عن جميع المشركين علىٰ وجه الأرض ولا عن جميع معاني توحيد الربوبية، ويزيد الأمر إيضاحًا فيقول: (ولكن كثير من الطوائف قصر فيه ـ يعني توحيد الربوبية ـ مع إثباته لأصله كالقدرية الذي يخرجون أفعال الحيوان عن قدرة الله ومشيئته وخلقه ولازم قولهم حدوث محدثات كثيرة بلا محدث، أما الفلاسفة القائلون بقدم العالم فلازم قولهم أن الحوادث جميعها ليس لها فاعل ثم هم يجعلون بعض مبدعات الرب هي الفاعلة لما سواه كما يزعمون مثل ذلك في العقل، ومشركو العرب كانوا خيراً في التوحيد من هؤلاء . . . . وأما المجوس فهم أشهر الناس قولاً بإلهين لكن القوم متفقون علىٰ أن الإله الخير المحمود هو النور . . . . . . فهؤلاء أثبتوا قديمين لكن لم يجعلوهما متماثلين ولا مشتركين في الفعل بل يمدحون أحدهما ويذمون الآخر . . . ، والمقصود أن كثيراً من أهل الشرك والضلال قد يضيف وجود بعض الممكنات أو حدوث بعض الحوادث إلىٰ غير الله)(٣).

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٥ .

(٢) انظر : درء التعارض ٩/ ٣٤٤ـ٣٤٥ .

(٣) المصدر السابق ٩/ ٣٤٥ـ٣٤٧ .

ويقول ابن تيمية: (لكن المتكلمون إنما انتصبوا لإقامة المقاييس العقلية على توحيد الربوبية وهذا لم ينازع في أصله أحد من بني آدم وإنما نازعوا في تفاصيله) [(١)].

* وهذا يدل دلالة واضحة على أن ابن تيمية وغيره من أهل العلم الأثبات إذا قالوا : إن المشركين يؤمنون بتوحيد الربوبية إنما يريدون أصله وليس الإيمان الكامل بكل معاني الربوبية .

ومما سبق يتضح أن هناك فروقًا بين توحيد الربوبية والألوهية في حال اقترانها منها: ما يلي :

* إذا اجتمعت الألوهية والربوبية في نص واحد فإن الألوهية فعل العبد والربوبية فعل ووصف الرب كما يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي : (**الربوبية** وصف الرب وفعله . **والعبودية** : وصف العبيد وفعلهم) [(٢)].

وإن الربوبية متعلقة بالعلم والألوهية متعلقة بالعمل . والعلم مقدم على العمل كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ [(٣)].

* لذا صار توحيد الربوبية هو باب توحيد الألوهية والدليل عليه والأساس له . **يقول ابن القيم:** (فيثبت قَدَمُ العبد في الربوبية ثم يرقى منه صاعداً إلى توحيد الإلهية فإنه إذا تيقن أن الضر والنفع والعطاء والمنع والهدى والضلال والسعادة والشقاء كل ذلك بيد الله لا بيد غيره وأنه الذي يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء وأنه لا موفق إلا من وفقه وأعانه ولا مخذول إلا من خذله وأهانه وتخلى عنه وإن أصح القلوب وأسلمها وأقومها وأصفاها وأشدها وألينها من اتخذه وحده إلهًا ومعبوداً فكان أحب إليه من

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد: القسم الخامس، ص١٢١ .

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص١١٢ .

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩ .

كل ما سواه وأخوف عنده من كل ما سواه وأحب له من كل ما سواه فتتقدم محبته في قلبه جميع المحاب فتنساق المحاب تبعًا لها كما ينساق الجيش تبعًا للسلطان ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخلوقات فتنساق المخاوف كلها تبعًا لخوفه ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجاء فينساق كل رجاء لرجائه فهذا علامة توحيد الإلهية في هذا القلب. والباب الذي دخل إليه منه توحيد الربوبية. أي باب توحيد الإلهية هو توحيد الربوبية؛ فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية ثم يرتقي إلى توحيد الألوهية كما يدعو الله سبحانه عباده بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر ويحتج عليهم به ويقررهم به ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية)[(١)].

* وليس المراد بتوحيد العلم هو مجرد العلم الذهني إنما العلم والإثبات بحيث يُقر العبد بما علم **ولذا لا يُعتبر في الإيمان علمٌ وتصديقٌ في القلب لا يتبعه إقرار وطمأنينة بما علم**[(٢)].

* وكذلك العمل ليس مقصوراً على عمل الجوارح بل يدخل فيه عمل القلب وبناء على هذا أطلق العلماء على توحيد الربوبية: توحيد المعرفة والإثبات، أو توحيد العلم والقول، أو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي أو توحيد الله بأوصافه وأفعاله. وأطلقوا على توحيد الألوهية: التوحيد العملي، أو التوحيد الفعلي، أو التوحيد الإرادي القصدي الطلبي أو توحيد الله بأفعال المكلفين[(٣)]، وجميع الإطلاقات السابقة صحيحة ولا منافاة بينها فهي تدل على التوحيدين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٤١١ .

(٢) انظر: الصارم المسلول، ص ٥١٩ .

(٣) انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٢ وما بعدها، و٣/ ٤٤٩، وبيان تلبيس الجهمية ١/ ٤٧٩ وما بعدها، وتوضيح المقاصد ٢/ ٢٦٠، وتيسير العزيز الحميد، ص ٣٣ .

الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية لأنه من باب الإثبات الخبري العلمي الاعتقادي .

* وقد لخص د. البريكان الفروق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية تلخيصًا أرىٰ أنه لا بأس به خاصة في حال اقتران توحيد الربوبية مع توحيد الألوهية في الذكر أو عطف أنواع التوحيد بعضها علىٰ بعض فقال :

١) الاختلاف في الاشتقاق : فالربوبية مشتقة من اسم الله الرب ، والألوهية مشتقة من لفظ الإله .

٢) أن متعلق الربوبية الأمور الكونية : كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها ، ومتعلق توحيد الألوهية : الأوامر والنواهي من الواجب والمحرم والمكروه .

٣) أن توحيد الربوبية قد أقرّ به المشركون[1] أما توحيد الألوهية فقد رفضوه وذكر الله ذلك في كتابه : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[2] وقال عز وجل : ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[3] .

٤) أن توحيد الربوبية مدلوله علمي وأما توحيد الألوهية فمدلوله عملي .

٥) أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية . بمعنىٰ أن توحيد الألوهية خارج عن مدلول توحيد الربوبية لكن لا يتحقق توحيد الربوبية إلا بتوحيد الألوهية ، وأن توحيد الألوهية متضمن توحيد الربوبية . بمعنىٰ أن توحيد الربوبية جزء من معنىٰ الألوهية .

---

(١) أرىٰ أن يقال : أقروا بأصله أو يقال في الجملة ؛ لأن المشركين عندهم خلل في توحيد الربوبية كما تقدم .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٣ .

(٣) سورة ص ، الآية : ٥ .

٦) أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به[١] في الإسلام بعكس توحيد الألوهية فإن الإيمان به يُدخل في الإسلام .

٧) أن توحيد الربوبية توحيد الله بأفعاله كالخلق ونحوه، وأما توحيد الألوهية فهو توحيد الرب بأفعال عباده من الصلاة والزكاة والحج والصيام والخشية والرهبة والخوف والمحبة والرجاء ونحو ذلك[٢] .

* * *

(١) لابد من قيد من آمن بأصله فقط وإلا فإن من آمن بكل معاني الربوبية فهو سوف يؤمن بالألوهية بلا ريب ولا يغلط في الألوهية إلا من لم يحقق الربوبية كما تقدم .

(٢) المدخل لدراسة العقيدة للبريكان، ص٩٦ .

الفصل الثالث

دَحْضُ شُبَهِ الملبِّسين

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)



الفصل الثالث

دحض شبه الملبسين

إن أهل التلبيس والباطل يثيرون الشبه والأباطيل في وجه التوحيد منذ بداية دعوة الناس إلى توحيد الله. قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾(١).

ولكن هذه الشّبه عارية عن البرهان والدليل كما قال تبارك وتعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢).

* ولذا فإن من أضعف الشبه تلك الشبه التي يتمسك بها المشركون في الدفاع عن شركهم حيث جعلوا سبب التمسك بالشرك الاقتداء بالآباء.
والتقليد هو حيلة العاجز الذي لا يجد دليلاً على اعتقاده، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٣). ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٤)، ومن شبههم التي هي أوهى من خيط العنكبوت أن الرسل

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣١.
(٢) سورة النمل، الآية: ٦٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٤.

من البشر كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

* ومنها أن أتباع الرسل من الضعفاء كما قال الله تبارك وتعالىٰ عنهم: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾(٢).

* ولما أحس المشركون بضعف شبههم لجأوا إلىٰ الكذب والتخرص: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾(٣)، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤).

ولكن الله سبحانه تكفل بدحض شبه المشركين وإزهاقها: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (٥).

وبعد انتهاء موكب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم استمر تلبيس الملبسين حول التوحيد وتعددت الشبه ولكل قوم وارث.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٠.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٥.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

يقول ابن القيم: (وقد تقسمت الطوائف التوحيد وسمى كل طائفة باطلهم توحيداً . **فأتباع أرسطو وابن سينا والنصير الطوسي** عندهم التوحيد إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة بل هو وجود مطلق لا يعرض لشيء من الماهيات ولا يقوم به وصف ولا يتخصص بنعت بل صفاته كلها سلوب وإضافات. فتوحيد هؤلاء هو غاية الإلحاد والجحد والكفر، وفروع هذا التوحيد: إنكار ذات الرب، والقول بقدم الأفلاك، وأن الله لا يبعث من في القبور، وأن النبوة مكتسبة وأنها حرفة من الحرف كالولاية والسياسة وأن الله لا يعلم عدد الأفلاك ولا الكواكب ولا يعلم شيئًا من الموجودات المعينة ألبتة، وأنه لا يقدر على قلب شيء من أعيان العالم ولا شق الأفلاك ولا خرقها، وأنه لا حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي ولا جنة ولا نار. فهذا توحيد هؤلاء .

* **وأما الاتحادية فالتوحيد عندهم:** أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهيته وأنه آية كل شيء وله فيه آية تدل على أنه عينه، وهذا عند محققيهم من خطأ التعبير بل هو نفس الآية ونفس الدليل ونفس المستدل ونفس المستدل عليه. فالتعدد: بوجود اعتبارات وهمية لا بالحقيقة والوجود. فهو عندهم عين الناكح وعين المنكوح وعين الذابح وعين المذبوح وعين الآكل وعين المأكول وهذا عندهم هو السر الذي رمزت إليه هوامس الدهور الأولية ورامت إفادتَه الهدايةُ النبويةُ كما قال محققهم وعارفهم ابن سبعين .

ومن فروع هذا التوحيد: أن فرعون وقومه مؤمنون كاملو الإيمان عارفون بالله على الحقيقة، ومن فروعه أن عُبّاد الأصنام على الحق والصواب وأنهم إنما عبدوا عين الله سبحانه لا غيره .

ومن فروعه: أن الحق ألا فرق في التحريم والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية ولا فرق بين الماء والخمر، والزنا والنكاح، الكل من عين واحدة، بل هو العين الواحدة. وإنما المحجوبون عن هذا السر قالوا: هذا حرام وهذا حلال. نعم هو حرام عليكم لأنكم في حجاب عن حقيقة هذا التوحيد.

ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا الطريق على الناس وبعّدوا عليهم المقصود والأمر وراء ما جاءوا به ودعوا إليه.

* **وأما الجهمية فالتوحيد عندهم:** إنكار علو الله على خلقه بذاته، واستوائه على عرشه، وإنكار سمعه وبصره وقوته وحياته وكلامه وصفته وأفعاله ومحبته ومحبة العباد له فالتوحيد عندهم: هو المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.

* **وأما القدرية فالتوحيد عندهم:** هو إنكار قدر الله وعموم مشيئته للكائنات وقدرته عليها ومتأخروهم ضموا إلى ذلك توحيد الجهمية فصار حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر وإنكار حقائق الأسماء الحسنى والصفات العلى وربما سموا إنكار القدر والكفر بقضاء الرب وقدره عدلاً وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد.

* **وأما الجبرية فالتوحيد عندهم:** هو تفرد الرب تعالى بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة ولا محدثين لأفعالهم ولا قادرين عليها وأن الرب تعالى لم يفعل لحكمة ولا غاية تطلب بالفعل، وليس في المخلوقات قوى وطبائع وغرائز وأسباب، بل ما ثم إلا مشيئة محضة ترجح مثلاً على مثل بغير مرجح ولا حكمة ولا سبب ألبتة)[1].

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٤٧ـ٤٤٩.

وهذا تلخيص جيد لتوحيد الملبسين المتسبين للإسلام وللوازمه الباطلة التي تلزمهم من عالم خبير بمقالات الفرق وليس فيه تجني عليهم ولا ظلم لهم وقد عرف العلماء قبله وبعده هذه العقائد الباطلة وردوا عليها بردود مطولة ليس من غرض هذا البحث الاستطراد فيها وإنما أشير إلى بعضها إشارات وهي كافية بإذن الله فإن الحق أبلج والباطل لجلج.

فمن ذلك ما يلي:

الشبهة الأولى:

أن إثبات الصفات منافٍ للتوحيد لأنه يلزم منه تعدد القدماء وهذه الشبهة قد نشرها أهل التجهم في وقت مبكر فرد عليها الإمام أحمد بن حنبل حيث قال: (فقالوا: لا تكونوا موحدين أبداً حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء فقلنا: نحن نقول قد كان الله ولا شيء[1]، ولكنا إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلهًا واحداً بجميع صفاته. وضربنا لهم في ذلك مثلاً فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم شيء واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها؛ فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد لا نقول إنه قد كان في وقت من الأوقات لا يقدر حتى خلق له قدرة. والذي ليس له قدرة هو عاجز. ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق علمًا فعلم. والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول لم يزل الله عالمًا قادراً إلهًا لامتي ولا كيف؟ وقد سمى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي

---

(١) يريد ولا شيء قبله لأنه هو الثابت في صحيح مسلم: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**» ٨/ ٨٧، وأما رواية: ولا شيء معه. ففيها كلام. وإن صحت، فلها معنى تحمل عليه، انظر تفصيل هذا في شرح الطحاوية، ص١٤٠.

فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾[١]، وقد كان هذا الذي سماه الله وحيداً له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة. فقد سماه الله وحيداً بجميع صفاته، فكذلك الله وله المثل الأعلىٰ هو بجميع صفاته إله واحد)[١].

ولا شك أن هذا جواب سديد يكفي في إسقاط هذه الشبهة المتهافتة.

الشبهة الثانية:

أن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه، والتشبيه ينافي التوحيد، وقد رد علىٰ هذه الشبهة الإمام أحمد فقال: (وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلىٰ المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً . . . وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدّث عنه رسوله كان كافراً وكان من المشبهة . . . قال أحمد: وقلنا هو شيء؟ فقالوا: هو شيء لا كالأشياء، فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء. فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية، فإذا قيل لهم: من تعبدون؟ قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا العالم، فقلنا لهم: الذي يدبر أمر هذا الخلق مجهول لا يعرف بصفة؟ قالوا: نعم، قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء وإنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه)[٣].

وكلام الإمام أحمد كلام سديد فإنه يمتنع أن يكون في الوجود شيء لا صفة له ألبته[٤].

(١) سورة المدثر، الآية: ١١.

(٢) الرد علىٰ الزنادقة ص٩١ ضمن عقائد السلف.

(٣) الرد علىٰ الزنادقة، ص٦٤ ـ ٦٨.

(٤) لمزيد الاستفادة ارجع إلىٰ ١/ ٤٦٨ وما بعدها من كتاب: تلبيس الجهمية لابن تيمية.

وقال ابن قتيبة : (وتعمق آخرون في النظر وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عن الخالق، فأبطلوا الصفات مثل : الحلم والقدرة والجلال والعفو وأشباه ذلك، فقالوا : نقول هوالحليم ولا نقول بحلم وهو القادر ولا نقول بقدرة وهو العالم ولا نقول بعلم كأنهم لم يسمعوا إجماع الناس على أن يقولوا : أسألك عفوك. وأن يقولوا : يعفو بحلم ويعاقب بقدرة والقدير هو ذو القدرة، والعفوّ هو ذو العفو، والجليل هو ذو الجلال. فإن زعموا أن هذا مجاز. قيل لهم : ما تقولون في قول القائل : غفر الله لك وعفا عنك وحلم الله عنك أمجاز هو أم حقيقة ؟ فإن قالوا : هو مجاز؛ فالله لا يغفر لأحد ولا يعفو عن أحد ولا يحلم عن أحد على الحقيقة ولن يركبوا هذه وإن قالوا : حقيقة؛ فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر لأنا نقول : غفر الله مغفرة وعفا عفواً وحلم حلماً فمن المحال أن يكون واحد حقيقة والآخر مجاز)(١).

* **ويرد ابن تيمية** على الذين يغالون في نفي التشبيه حتى أنهم يجعلون الصفات التي تطلق على الخالق وعلى المخلوق بأنها حقيقة في وصف المخلوق مجاز في وصف الخالق وهم يريدون أن يصححوا التوحيد ـ زعموا بهذا الغلو في النفي ـ فيقول : (فكيف يكون العبد مستحقًا للأسماء الحسنى حقيقة : فيستحق أن يقال له : عالم قادر سميع بصير والرب لا يستحق ذلك إلا مجازاً ؟! ومعلوم أن كل كمال حصل للمخلوق فهو من الرب سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى. فكل كمال حصل للمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق أن ينزه عنه؛ ولهذا كان لله المثل الأعلى فإنه لا يقاس بخلقه ولا يُمثل بهم ولا تضرب له الأمثال فلا يشرك هو والمخلوق في قياس تمثيل بمثل، ولا في قياس شمول تستوي أفراده، بل

---

(١) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة، ص ٢٣٢ .

له المثل الأعلى في السماوات والأرض. ومن الناس من يسمي هذه الأسماء المشككة لكون المعنى في أحد المحلين أكمل منه في الآخر، فإن الوجود بالواجب أحق منه بالممكن والبياض بالثلج أحق منه بالعاج، وأسماؤه وصفاته من هذا الباب، فإن الله تعالى يوصف بها على وجه لا يماثل أحداً من المخلوقين وإن كان بين كل قسمين قدرٌ مشتركٌ، وذلك القدر المشترك هو مسمى اللفظ عند الإطلاق، فإذا قيد بأحد المحلين تقيد به.

فإذا قيل: وجود وماهية وذات كان هذا الاسم متناولاً للخالق والمخلوق، وإن كان الخالق أحق به من المخلوق وهو حقيقة فيهما. فإذا قيل: وجود الله وماهيته وذاته: اختص هذا بالله ولم يبق للمخلوق دخول في هذا المسمى وكان حقيقة لله وحده. وكذلك إذا قيل: وجود المخلوق وذاته: اختص ذلك بالمخلوق وكان حقيقة للمخلوق، فإذا قيل: وجود العبد وماهيته وحقيقته لم يدخل الخالق في هذا المسمى وكان حقيقة للمخلوق وحده.

* والجاهل يظن أن اسم الحقيقة إنما يتناول المخلوق وحده، وهذا ضلال معلوم الفساد بالضرورة في العقول والشرائع واللغات فإنه من المعلوم بالضرورة أن بين كل موجودين قدراً مشتركًا وقدراً مميزاً، والدال على ما به الاشتراك وحده لا يستلزم ما به الامتياز، ومعلوم بالضرورة من دين المسلمين أن الله مستحق للأسماء الحسنى وقد سمي بعض عباده ببعض تلك الأسماء كما سمى العبد سميعًا وبصيراً، وحيًا وعليمًا وحكيمًا ورؤوفًا رحيمًا وملكًا وعزيزاً ومؤمنًا وكريمًا وغير ذلك، مع العلم بأن الاتفاق في الاسم لا يوجب مماثلة الخالق بالمخلوق، وإنما يوجب الدلالة على أن بين المسميين قدراً مشتركًا فقط مع أن المميز الفارق أعظم من المشترك الجامع)[1].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

الشبهة الثالثة :

شبهة الاتحادية القائلين: بأن الحق المنزه هو عين الحق المشبه وأنه سبحانه هو عين كل موجود ولذا يفسر ابن عربي[(١)] لا إله إلا الله : بأنه لا وجود لغيره ولا غير سواه[(٢)] .

والتوحيد عندهم : أن تجعل العالم واحداً : هو الله ، وقد رد أهل العلم على هذه الشبهة الإلحادية الفاجرة ومن أشهر الردود بعد ردود ابن تيمية في مجموع الفتاوى وفي كتاب : بغية المرتاد[(٣)] رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود للملا علي بن سلطان القارئ[(٤)] ويكفي في إسقاط شبهة الاتحاديين أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً** ﴾[(٥)] ، فهل يعقل أن الله يلعن نفسه ويعذب نفسه؟! وقال : ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث** ﴾[(٦)] ، فهل يعقل أن يصف الله نفسه بهذا الوصف؟! تعالى الله عن قول الملحدين علوا كبيراً . وتصور هذا المذهب كاف في سقوطه ومعرفة زندقة أصحابه .

الشبهة الرابعة :

أن إثبات القدر وعموم المشيئة للكائنات والقدرة عليها تنقص للرب وقدح

---

(١) هو : محمد بن علي الطائي من زعماء الاتحادية قال الذهبي : من أردأ تواليفه كتاب : الفصوص . فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر ، انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨ .

(٢) انظر : الله وصلته بالكون في التصوف الفلسفي لسعيد عقل ، ص٤٧٧ .

(٣) طبع بتحقيق : الدكتور الدويش في مكتبة : العلوم والحكم بالمدينة .

(٤) وقد حُقق كرسالة في جامعة أم القرى .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية : ٦٤ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٦ .

في التوحيد ولذا ينكر أصحاب هذه الشبهة القدر وينكرون خلق أفعال العباد. يريدون تصحيح التوحيد وإثبات عدل الله ـ زعموا ـ وهذه الشبهة حدثت في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم فأنكروها إنكارًا بليغًا، حتىٰ قال ابن عمر : إذا لقيتم ذلك فقولوا : يقول ابن عمر هو منكم بريء وأنتم منه برآء فوالله لو جاء أحدهم من العمل بمثل أحد ما تقبل منه حتىٰ يؤمن بالقدر)[1]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيده[2] وقد رد عليهم البخاري بكتاب كامل هو كتاب : خلق أفعال العباد. وذكر فيه من الآيات والأحاديث ما يبطل هذه النحلة الفاسدة .

الشبهة الخامسة :

هي شبهة الجبرية: الذين يرون أن نسبة أفعال العباد إليهم وإثبات أن العباد فاعلون لأفعالهم يناقض التوحيد حيث يثبت خالقين مع الله ـ زعموا . وهذه الشبهة سببها : أنهم لم يفرقوا بين الفعل الذي هو فعل العبد والخلق الذي هو خلق الرب. وقالوا : كيف يجتمع علىٰ إيجاد الشيء الواحد مؤثران؟ وهل الشرك إلا هذا؟ وقد رد العلماء بردود عظيمة علىٰ من أنكر أفعال العبيد، وذكروا الآيات والأحاديث في هذا الباب والتي فيها أن الناس يدخلون الجنة بأعمالهم، ويدخلون النار بأعمالهم، وهي كثيرة معلومة، ومن أجمل ما رأيت بعد نصوص الوحي ما ذكره ابن تيمية من إفساد أعظم شبهة يثيرها هؤلاء حيث قال : (والمقام الثاني : في تحرير السؤال وجوابه :

---

(١) شرح أصول أعتقاد أهل السنة للالكلائي ٤/ ٥٨٦ .

(٢) مدارج السالكين ١/ ٤١٠ ، ورواه اللالكائي ٤/ ٦٧٠ ، باختلاف بسيط في الألفاظ والمعنىٰ واحد .

وهو أن يقال: هل قدرة العبد المخلوقة مؤثرة في وجود فعله ؟ فإن كانت مؤثرة لزم الشرك وإلا لزم الجبر والمقام مقام معروف وقف فيه خلق من الفاحصين والباحثين والبصراء والمكاشفين وعامتهم فهموا صحيحًا، ولكن قلّ منهم من عبر فصيحًا فنقول : التأثير: مشترك قد يراد بالتأثير الانفراد بالابتداع والتوحيد بالاختراع فإن أريد بتأثير قدرة العبد هذه القدرة، فحاشا لله لم يقله، وإنما هو المعزو إلى أهل الضلال، وإن أريد بالتأثير نوع معاونة: إما في صفة من صفات الفعل، أو في وجه من وجوهه كما قاله كثير من متكلمي أهل الإثبات فهو أيضًا باطل بما به بطل التأثير في ذات الفعل، إذ لا فرق بين إضافة الانفراد بالتأثير إلى غير الله سبحانه في ذرة أو فيل، وهل هو إلا شرك دون شرك ؟ وإن كان قائل هذه المقالة ما نحا إلا نحو الحق، وإن أريد بالتأثير أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه وتعالى الفعل بهذه القدرة كما خلق النبات بالماء وكما خلق الغيث بالسحاب وكماخلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط وأسباب فهذا حق وهذا شأن جميع الأسباب والمسببات وليست إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركًا وإلا فيكون إثبات جميع الأسباب شركًا وقد قال الحكيم الخبير: ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾(١) ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾(٣) فبين أنه المعذب وأن أيدينا أسباب وآلات وأوساط وأدوات في وصول العذاب إليهم . . . . وإذا أشكل عليك هذا البيان فخذ مثلاً من نفسك: أنت إذا كتبت بالقلم وضربت

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٧ .
(٢) سورة النمل، الآية: ٦٠ .
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٤ .

بالعصا ونجرت بالقدوم هل يكون القلم شريكك أو يضاف إليه شيء من نفس الفعل وصفاته؟ أم هل يصلح أن تلغي أثره وتقطع خبره وتجعل وجوده كعدمه؟ أم يقال به فعل وبه صنع ولله المثل الأعلىٰ فإن الأسباب بيد العبد ليست من فعله وهو محتاج إليها لا يتمكن إلا بها والله خلق الأسباب ومسبباتها وجعل خلق البعض شرطًا وسببًا في خلق غيره وهو مع ذلك غني عن الاشتراط والتسبب ونظم بعضها ببعض لكن لحكمة تتعلق بالأسباب وتعود إليها والله عزيز حكيم) [١].

الشبهة السادسة :

شبهة أهل الإرجاء وبعض المتكلمين الذين لا يدخلون شيئًا من العلم في مسمىٰ التوحيد ويفسرون لا إله إلا الله بأنه لا قادر علىٰ الاختراع والإبداع إلا الله ويجعلون التوحيد : هو التصديق بالقلب مع التلفظ بالتوحيد باللسان [٢].

* والرد علىٰ هذه الشبهة هو ما سبق أن أشرت إليه من أن بعض أعمال القلوب : كالخضوع والانقياد والحب ، وجنس أعمال الجوارح لا كلها أركان في التوحيد **لا يصح التوحيد بدونها** وذلك لأن الإنسان عامل بطبعه لابد أن يأكل وأن يشرب وأن يتزوج وأن يبيع ويشتري وأن يرث ويورث وأن يذبح . **فهو: إما أن يتلفظ بالشهادتين وبعد ذلك يلتزم بدين غير دين الإسلام كأن يتزوج على طريقة النصارى ويذهب إلى كنائسهم ويعمل مثل ما يعمل النصارى تمامًا وهذا لا يكون موحدًا أبدًا، وإما أن يتلفظ بالشهادتين ومع هذا يكون إباحيًا في كل شؤونه؛ فيتزوج بنته وأخته ولا يلتزم بصلاة ولا صوم ولا بشيء**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٨/ ٣٨٩ ـ ٣٩١ ، وراجع الكتاب العظيم في هذا الباب بعنوان : شفاء العليل لابن القيم فهو قد قبس من مشكاة شيخه وزاد الموضوع بسطًا وتوضيحًا .

(٢) انظر : أصول الدين للبغدادي ، ص١٢٣ ، وشرح المقاصد للتفتازاني ٤/ ٤٠ .

من أعمال الإسلام، وهذا أيضًا لا يكون موحدًا أبدًا . فهذا معنى قول السلف : إن جنس العمل ركن في الإيمان . والإيمان إذا أطلق يشمل التوحيد كما تقدم في حديث وفد عبدالقيس .

* **وبالتالي يظهر أنه لا يمكن أن يكون هناك من يصدق بالإسلام ويتلفظ بالشهادتين ولا يصدر منه أي عمل يدل على التزامه بالإسلام** إلا في حالة الإكراه أو العجز . ولما تخيل المرجئة هذه الصورة الممتنعة اشتد نكير السلف عليهم وردوا على هذه الشبهة الكلامية . فقال سفيان بن عيينة : الإيمان : قول وعمل أخذناه ممن قبلنا : قول وعمل ، وأنه لا يكون قول إلا بعمل [١] .

وقال الأوزاعي : لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة [٢] .

وقد رد أبو ثور رحمه الله شبهة المرجئة ردًا مفحمًا فقال لهم : (أرأيتم لو أن رجلاً قال : أعمل جميع ما أمر الله به ولا أقر به أيكون مؤمنًا ؟ فإن قالوا : لا ، قيل لهم : فإن قال : أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل منه شيئًا أيكون مؤمنًا ؟ فإن قالوا : نعم . قيل لهم : ما الفرق وقد زعمتم أن الله عز وجل أراد الأمرين جميعًا . فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمنًا إذا ترك الآخر جاز أن يكون بالآخر إذا عمل ولم يقر مؤمنًا . ولا فرق) [٢] .

الشبهة السابعة :

هي شبهات ركب بعضها على بعض وأصحابها يشتركون في الهدف

---

(١) السنة لعبدالله بن أحمد ١/ ٣٤٦ .

(٢) الإبانة لابن بطة ٢/ ٨٠٧ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/ ٨٥٠ .

والاستدلال فجعلتها شبهة واحدة وملخصها: أن تقسيم التوحيد إلىٰ توحيد ربوبية وألوهية بدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة وأن أول من قال بها: ابن تيمية وتابعه ابن عبدالوهاب، وأنه لا فرق بين الربوبية والألوهية، وأن المشركين الذين بُعث فيهم الرسول ﷺ لا يعرفون الخالق ومن اعترف منهم به إنما اعترف به علىٰ سبيل الهزل لاعلىٰ سبيل الجد أو في وقت المحاجة من غيرتصديق حقيقي به، وأن العبادة لا تكون عبادة إلا إذا قدمت لمن يعتقد فيه صفة الربوبية وأن طلب غفران الذنوب وتفريج الكروب من الموتىٰ إنما هو من باب المجاز العقلي وإلا فالطلب أساسه موجه إلىٰ الله، والميت إنما يقوم بدور الشفاعة.

وهذه الشُّبَهُ المظلمة بدأ أولها بعد انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واعتماده كثيراً علىٰ كتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم، ثم صار يتلقفها أعداء الدعوة إلىٰ التوحيد الصحيح ويزيد المتأخر منهم علىٰ المتقدم فاشترك في ترويجها: متعصبة الصوفية ومتعصبة أهل الكلام ومتعصبة أهل الإرجاء ومتعصبة الشيعة (١) وبعضهم قد اجتمعت فيه هذه المصائب جميعًا فهو صوفي متكلم مرجئ شيعي، ومن العجيب أن بعضهم يسرق من كتب بعض بالصفحات من غير إحالة ولا إشارة(٢)

---

(١) قُدمت رسالة علمية في جامعة الإمام بعنوان: دعاوىٰ المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. عرض ونقض. وطبعت الرسالة في كتاب من إصدار مكتبة دار طيبة بالرياض. وقد أجاد مؤلفها وأفاد فجزاه الله خيراً.

(٢) قارن بين الصفحات رقم ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، من كتاب: التنديد بمن عدد التوحيد لحسن بن علي السقاف. وبين الصفحات رقم ٢١، ٢٢، ٢٣، من كتاب: التوسل بالنبي لأبي حامد بن مرزوق. وبين الصفحات ٨٩، ٩٠، ٩١، من كتاب: براءة الأشعريين لأبي حامد بن مرزوق.

وبعضهم يروج لكتب أصحابه بالمدح الكاذب(١) **والقضية المشتركة بينهم هي معاداة الدعوة إلى التوحيد الصحيح وإثارة الشبه حولها** (٢) **والشبهات التي أثاروها ساقطة** والحمد لله ولكنني أشير إلى ما يبطلها إشارات موجزة لأن التوسع في عرض هذه الشبه ليس من غرض هذا البحث فأقول :

أما قولهم : أن تقسيم التوحيد إلى توحيد ألوهية وربوبية بدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة فهذا القول ليس صحيحًا فإن من أعظم ما في كتاب الله الآيات التي تثبت الربوبية لله والألوهية له سبحانه وبتأمل أول سورة في القرآن نرى أنها بدأت بإثبات الربوبية لله ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ② **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ③ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾(٣) ثم بإثبات الألوهية لله : ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾(٤) وآخر سورة في القرآن بدأت بإثبات الربوبية لله : ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ① **مَلِكِ النَّاسِ**﴾(٥) ثم بإثبات الألوهية لله ﴿ **إِلَهِ النَّاسِ**﴾(٦) .

وقد مر في أول هذا البحث من الآيات الكريمات ما يدل على هذا الأمر وفي سنة الرسول ﷺ من هذا الشيء العظيم وقد تقدم، وفي فعل الصحابة شيء كثير وقد تقدم، ومن ذلك أيضًا ما علَّمه الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق عندما قال له : مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، فعلمه الرسول

---

(١) انظر : مثلاً ص٢٠ من كتاب: التوسل بالنبي .

(٢) ومن هذه الكتب التي أثارت الشبهات المتقدمة وغيرها : الدرر السنية في الرد على الوهابية لأحمد بن زيني دحلان، وسعادة الدارين في الرد على الفرقتين لإبراهيم السمنودي، والمنحة الإلهية في رد الوهابية لداود بن سليمان بن جرجيس، وكشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبدالوهاب لمحسن الأمين العاملي، ومفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي مالكي، وبراءة الأشعريين لأبي حامد بن مرزوق، والتوسل بالنبي له أيضًا ، والتنديد بمن عدد التوحيد لحسن السقاف .

(٣)(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٢ ـ ٥ .

(٥)(٦) سورة الناس، الآية: ١ ـ ٣ .

ﷺ دُعاءً يجمع بين توحيد الربوبية والألوهية حيث قال له : « **قل: اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن نقترف سوءًا على أنفسنا أو نجره إلى مسلم، قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك**»(١) .

وجمع ﷺ بين توحيد الربوبية والألوهية في دعاء الاستسقاء فقال : «**الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد. اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلى حين**» (٢) .

واستقصاء هذا أمر يطول وإنما الغرض بيان : أن الله ورسوله قد دعَوَا إلىٰ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وأن أكمل الأدعية والذكر ما اجتمع فيه توحيد الربوبية والألوهية . فكيف بعد هذا ينكر منكر؟! ويقول إن انقسام التوحيد إلىٰ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بدعة ، أما إذا كان القائل يريد مجرد الحروف اللفظية في تقسيمات التوحيد بغض النظر عن المضمون والمحتوىٰ فإنه يلزمه أن يقول بناء علىٰ هذا الفهم : **إن من قال إن سنة الرسول ﷺ تنقسم إلى متواتر وآحاد مبتدع، وأن من قال: إن الأحكام التكليفية تنقسم إلى: واجب ومستحب ومحرم ومكروه ومباح مبتدع، وأن من قال إن كلام العرب ينقسم إلى: حرف وفعل واسم مبتدع. وما يقول هذا أحد شم رائحة العلم ولكن المخذول من خذله الله وأثار الشبه الواهية ليصد عن توحيد الله**(٣) .

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٦٣٢ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ١٤٢ ، وفي صحيح الكلم الطيب ، ص١٨ .

(٢) صححه الألباني في صحيح الكلم الطيب ، ص٦٥ .

(٣) انظر : التحذير من مختصرات الصابوني للشيخ بكر أبو زيد ، ص٣٠ ، والقول السديد للدكتور عبدالرزاق العباد ، ص١٧ وما بعدها .

* وأما القول بأن أول من قال بانقسام التوحيد إلىٰ توحيد الربوبية والألوهية: ابن تيمية وتبعه ابن عبدالوهاب فغير صحيح أيضًا، فإن البخاري عندما صنف كتابه في التوحيد ضِمْن كتابه الصحيح: بدأ بحديث معاذ بن جبل الذي فيه دعوة أهل اليمن إلىٰ التوحيد ثم أردفه بحديث معاذ الذي وضّح فيه الرسول ﷺ حق الله علىٰ العباد وهوأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وهو في توحيد الألوهية، ثم ثلث بذكر فضل سورة الإخلاص وأنها تعدل ثلث القرآن. وسورة الإخلاص مشتملة علىٰ أنواع التوحيد فإن صفة (أحد) شاملة لجميع أنواع التوحيد، فالله أحد في ربوبيته وفي إلهيته ولو لم تكن كذلك لما أصر عليها بلال رضي الله عنه عندما أراده كفار مكة أن يرجع عن توحيد الألوهية. فهم يعذبونه، وهو يقول: أحد أحد[(١)].

ثم بعد ذلك استطرد البخاري في تبويباته ذاكرًا خصائص الربوبية والألوهية فذكر أن الله له الأسماء الحسنىٰ وأنه الرحمن وأنه الرزاق وأنه عالم الغيب.. إلخ، وكتاب التوحيد لابن منده (ت ٣٩٥) بدأ بقسم الوحدانية في الربوبية مستدلاً به علىٰ توحيد الألوهية ثم ذكر عنوانًا لتوحيد الأسماء ومنه دخل في توحيد الألوهية ثم عاد لتكميل أسماء الله تعالىٰ ثم أتبعه بتوحيد الصفات[(٢)].

وأما أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١) صاحب العقيدة الطحاوية فإنه قال: نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: أن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره[(٣)].

---

(١) انظر عن قصة بلال: مسند أحمد ١/ ٤٤، والمستدرك ٣/ ٢٨٤، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: ص٢٧ من مقدمة د. علي الفقيهي محقق كتاب: التوحيد لابن منده.

(٣) العقيدة الطحاوية، ص١٨.

وهذا جمع بين توحيد الربوبية والألوهية في تعريف التوحيد، وقد ذكرت سابقًا: أن كثيراً من علماء السلف الصالح عندما يركزون على الأسماء والصفات، عندما يكتبون عن التوحيد ليس إغفالاً منهم لتوحيد الألوهية وإنما لأن الألوهية والربوبية من أعظم الصفات، بل إن الأسماء والصفات كلها تندرج تحت الربوبية والألوهية كما تقدم، والعجيب من حال هؤلاء المبدِّعين لمن يقسم التوحيد إلى توحيد ربوبية وألوهية أنهم يرون أهل الكلام يقسمون التوحيد تقسيماً ناقصًا إذ يقولون: فالباري واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له[1]، ومع هذا لا يبدّعونهم. إذًا فليس التقسيم سبب الابتداع عندهم، وإنما سبب الابتداع: هوأن يذكرتوحيد يحول بينهم وبين الاستغاثة بالموتى والغائبين، والنذر لهم، والتمسح بقبورهم، والطواف بها، وطلب البركات من قبلها .

* وأما قولهم: بأنه لا فرق بين الربوبية والألوهية فقد سبق أن وضحت الفروق بين الربوبية والألوهية في حال اجتماعهما ، ولكن هؤلاء القوم ملبوس عليهم أمرهم؛ فإنهم يأتون بالنصوص التي تكون فيها الربوبية بمعنى الألوهية ثم يرجعون فيفسرون الألوهية بالربوبية عندما تجتمع مع الألوهية فيخرجون بنتيجة : أن التوحيد هو توحيد الربوبية، فيكون التوحيد عندهم أحد أقسام التوحيد فحسب؛ فيصطدمون بقضية أخرى وهي: أن الكفار يسلمون بهذا التوحيد ومع هذا سماهم الله مشركين، فعندئذ يبدو عَوَارهم وتختلف أقوالهم: فمنهم الذي لا يفكر فيما يخرج من رأسه فيقول: إن كفار العرب ما كانوا يعرفون الله، وغفل عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ

(١) نهاية الإقدام للشهرستاني، ص٩٠ .

مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾(١)، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُون ﴾(٣)، ومنهم الذي يقول: إن الكفار ما كانوا يعترفون بالله إلا عند المحاجة وهم غير جادين فيما يعترفون به، وهذه الشبهة كسابقتها. فإن العرب كانوا يحجون ويلبون متقربين إلىٰ الله وإلىٰ أصنامهم ويلهجون بهذا التقرب تعبداً في غيروقت مناظرة ولا هزل، بل في حال طوافهم، وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، وكانوا إذا قالوا: لبيك لا شريك لك قال لهم رسول الله ﷺ: «**ويلكم! قد قد فيقولون: إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك**». قال النووي: «**قد قد**». كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا(٤)، وهذاسراقة بن مالك عندما لحق بالرسول ﷺ في طريق هجرته فساخت قوائم فرسه قال: «**يا محمد، ادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب ... الحديث**»(٥). فهو يومن بالله وأنه هو الذي يزيل الكرب. فهل هو هازل في هذا الموقف؟! والكفار عندما كانوا يسمون أبناءهم: عبدالله، كعبد الله بن جدعان وعبدالله والد الرسول ﷺ. هل هم يعبّدون لشيء لا يعترفون به؟! وهل كانوا في حال هزل أو محاجة ؟!

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١ .
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦١ .
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٧ .
(٤) صحيح مسلم مع النووي ٨/ ٩٠ .
(٥) مسند أحمد ١/ ٣ .

وعكرمة عندما ركب البحر فاراً من رسول الله ﷺ بعد فتح مكة، فهاجت الريح، فقال ركاب السفينة من المشركين: إن هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله تعالى فقال عكرمة: فهذا إله محمد ﷺ الذي يدعونا إليه فارجعوا بنا فرجع فأسلم[١]، فأين المحاجة أو الهزل في هذا الوقت؟

* وأما قولهم: إن العبادة لا تكون عبادة إلا إذا صرفت إلى من يعتقد فيه العابد صفة الربوبية. فهذا يرده ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي رجاء العطاردي يقول: كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً هو خيراً ألقيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة[٢] من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا به[٣].

فأين صفات الربوبية في هذا الحجر الذي يختارونه ويتركونه عندما يرتحلون؟! وأين صفات الربوبية في الأحبار والرهبان؟ وهم بشر يمرضون ويموتون. والله تعالى يقول: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾[٤].

بل أين صفات الربوبية في الصليب الذي يعلقه عابده في عنقه؟! قال عدي ابن حاتم: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: «**يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن**» وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿**اتَّخَذُوا**

---

(١) انظر القصة في: المستدرك ٣/ ٢٤١، ومجمع الزوائد ٦/ ١٦٩.
(٢) الجثوة بالضم: الشيء المجموع. أي: جمعوا ترابًا حتى يرتفع عن الأرض كالحجر، انظر: النهاية ٢/ ٢٣٩.
(٣) صحيح البخاري ٥/ ١١٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣١.

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[(١)] فقلت له : يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم، فقال عليه الصلاة والسلام : « **أليسوا يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله فيستحلون ؟ فقلت : بلى، قال : ذلك عبادتهم**»[(٢)] . وكيف تكون صفات الربوبية في القبر؟ والرسول ﷺ يقول: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(٣)] مما يدل على أن القبر قد يعبد من دون الله .

وكيف تكون في شجرة ذات أنواط صفات الربوبية؟ والكفار يتخذونها إلهًا من دون الله كما قال أبو واقد الليثي : «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط، فقلنا : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: **الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾[(٤)] لتركبن سنن من كان قبلكم**»[(٥)] . فإن كان في معبودات الجاهلية صفات الربوبية فإن المعنى الذي فيها هو الذي يحرص عليه عباد القبور والأولياء أو عباد الزعماء والعلماء .

* **وهل يطلب عباد القبور والأولياء الآن منها شيئًا غيرما يطلبه أولئك من أشجارهم أو أحجارهم** التي يتوهمون أن في تعظيمها بركة وخيرًا وأن

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١ .

(٢) سنن البيهقي ١٠/ ١١٦ ، والترمذي ٥/ ٢٧٨ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ٦٥ .

(٣) موطأ الإمام مالك ١/ ١٧٢ ، وصححه مؤلف : النهج السديد، ص١١٥ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨ .

(٥) مسند أحمد ٥/ ٢١٨ ، وحسنه الألباني في السنة لابن أبي عاصم، ص٣٧ .

الأرواح التي تنزلها تشفع لهم عند الله : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾[١] . **وهل يطلب أتباع المجالس التشريعية التي تحلّ للناس ما يراه الأغلبية، وتحرم عليهم ما يراه الأغلبية؛ حتى أصبحت الخمر حلالاً بسبب هذه المجالس بعدما كانت حرامًا بسببها . هل يطلب هؤلاء غير ما يطلبه أتباع الأحبار والرهبان من تشريع أحكام الحياة ؟**

قال البخاري في صحيحه : وقال عكرمة : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** ﴾[٢] ، ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض ليقولن الله . فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره [٣] .

* فهولاء المشركون يسندون صفات الربوبية لله ومع هذا اعتبرهم الله مشركين لأنهم توجهوا بالعبادة إلىٰ غيره . وفهم السلف ذلك . وهل كان المشركون يعتقدون في الشيطان صفة الربوبية أو يعتقدونها في أهوائهم؟ قال الله تعالىٰ :﴿ **وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا** ﴾[٤] ، وقال : ﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** ﴾[٥] وقال : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾[٦] .

* وأما قولهم إن المسلم إذا نطق بالشرك فإنه محمول علىٰ المجاز العقلي فإذا قال : يا ولي الله ارزقني وعافني واغفر لي إنما يريد كن شفيعًا لي في ذلك ، فهذا القول فتح لباب الزندقة وباب الكفر ، وما من كافر علىٰ وجه

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣ .

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٦ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/ ٤١٣ .

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٩ .

(٥) سورة يس، الآية: ٦٠ .

(٦) سورة الجاثية، الآية: ٢٣ .

الأرض إلا يستطيع أن يدعي أنه في كفره أضمر محذوفًا وأن هذا من المجاز العقلي فإذا قال: الشيطان ولي الله. قال: أقصد أن الشيطان عدو ولي الله، وإذا قال: الرسل أعداء الله. قال: أقصد أعداء أعداء الله. ولأن هذه الزندقة من نتائج القول بالمجاز الذي ابتدعه أهل الكلام أبطل أهل العلم القول بالمجاز بل اعتبروه طاغوتًا يصرف الناس عن الحق كما قال ابن القيم: (هذا الطاغوت لهج به المتأخرون والتجأ إليه المعطلون وجعلوه جنة يتترسون بها من سهام الراشقين ويصدون عن حقائق الوحي المبين) (١).

وما رأي أهل المجاز العقلي لو أن رجلاً اعترف عند الحاكم أنه قام بقتل زيد ولكنه عند الحكم عليه اعترض وقال: كيف تحكم عليّ وأنا أريد أنني قتلت جمل زيد؟ هل يمكن أن يبقى للإقرار فائدة في الفقه الإسلامي؟ إلا الإقرار الذي لا يرجع عنه صاحبه، ثم لو فرض أن المستغيثين بالأموات لم يقصدوا إلا طلب الشفاعة منهم عند الله فما الفرق بينهم وبين من أخبر الله عنهم من المشركين بأنهم ما كانوا يريدون إلا الشفاعة؟ قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ (٢).

* ثم إذا كان المستغيثون بالأموات لا يريدون منهم إلا الشفاعة فما علاقة النذر والتمسح والطواف والركوع على الأعتاب والذبح بطلب الشفاعة؟ هل الولي يريد ممن يشفع له أن يتقرب لله أو يتقرب له هو؟ وهل الولي يقبل أن يشفع لكل الناس أم يشفع لفئة معينة؟ وهذه الفئة المعينة ما هي صفاتها؟ هل هي التي تعظمه هو أم تعظم الله؟ وكيف يعرف ما يجول في

(١) مختصر الصواعق ٢/٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٨.

قلوبهم من حب للحق وبغض للباطل وتوكل على الله وخشية وإخبات ونحو ذلك مما لا يعلمه إلا عالم الخفيات؟ إن ما يأتي به هؤلاء الذين يدافعون عن الشرك من الأساليب الملتوية إنما هو ظلمات بعضها فوق بعض ولكن المشركين لا يعقلون .

* * *

الخاتمة

لقد من الله تبارك وتعالىٰ بإتمام هذا البحث وفيه من النتائج ما يلي :

١) أن أظهر ما في القرآن الكريم دلائل التوحيد وبراهينه .

٢) أن القرآن جاء بأساليب كثيرة وعظيمة لتحقيق التوحيد وإبطال الشرك كأساليب الحصر في قصر العبادة علىٰ الله تبارك وتعالىٰ ونفي الشرك عن الله وحصر الكمال المطلق الذي هو موجب العبادة في الله وبيان ما يدل علىٰ نقص وعجز المعبودات من دون الله مما يبطل عبادتها .

٣) أن دين الأنبياء جميعًا واحد : وهو التوحيد وإن اختلفت شرائعهم .

٤) أن الرسول ﷺ بعد بعثته قضىٰ حياته كلها في التوحيد عملاً وتعليمًا وجهادًا .

٥) أنه ﷺ قد علم الأمة براهين عظيمة ودلائل قويمة توجب إفراد الله بالعبادة وتنفي عنه الشرك .

٦) أنه ﷺ ربط المسلمين بالتوحيد في كل شؤونهم في صلاتهم وحجهم وأدعيتهم وإقامتهم وسفرهم وفي كل أحوالهم وأنه يقرن لهم بين أنواع التوحيد في جل الأدعية التي يعلمها لهم .

٧) أن الرسول ﷺ حمىٰ جناب التوحيد من كل ما يخدش فيه ، وسد المنافذ الموصلة للشرك .

٨) أن إثبات حقائق الأسماء والصفات لله تبارك وتعالىٰ وتنزيهها عن التمثيل والتعطيل إنما هو إثبات لحقيقة التوحيد .

٩) أن السلف الصالح فهموا التوحيد فهمًا صحيحًا ودخلت بشاشته قلوبهم فساروا على هدى المصطفى ﷺ في التوحيد علمًا وعملاً وجهادًا .

١٠) أن أقسام التوحيد مأخوذة من الكتاب والسنة .

١١) أن أقسام التوحيد تختلف معانيها بحسب الانفراد والاقتران .

١٢) أن أهل التلبيس يقاومون صفاء التوحيد باسم التوحيد إمعانًا في الكذب والضلال .

١٣) اجتماع متعصبة الصوفية والشيعة والمرجئة وأهل الكلام للتشويش على الدعوة إلى تصحيح التوحيد أمر يحتاج إلى جهد عظيم لكشف تلبيسهم وإيضاح الحق للناس من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح .

* * *

الفهارس

١ . فهرس المراجع .

٢ . فهرس الموضوعات .

فهرس المراجع

* القرآن الكريم .
* أحكام الجنائز وبدعها لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي ببيروت .
* الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لعبدالله بن مسلم بن قتيبة ضمن عقائد السلف، جمع: علي سامي النشار وعمار جمعي الطالبي، طبع: منشأة المعارف بالأسكندرية عام ١٩٧١م.
* الأصنام لهشام بن محمد السائب الكلبي، تحقيق محمد بن عبدالقادر أحمد وأحمد محمد عبيد، نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .
* إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، نشر المكتب الإسلامي .
* الله وصلته بالكون في التصوف الفلسفي لسعيد عقيل سراج، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بمكة، نوقشت عام ١٤١٤هـ .
* بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، نشر دار الكتاب العربي ببيروت .
* البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي، تحقيق أحمد دهمان، دار البصائر بدمشق، الطبعة الثانية عام ١٤٠٠هـ .
* براءة الأشعريين من عقائد المخالفين لأبي حامد بن مرزوق، مطبعة العلم بدمشق عام ١٣٨٧هـ .
* بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد لابن تيمية، تحقيق د. موسى الدويش، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة .

* بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية. تصحيح: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم الطبعة الأولىٰ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة عام ١٣٩١هـ.
* التحذير من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير لبكر بن عبدالله أبو زيد، الطبعة الأولىٰ عام ١٤٠٩هـ، نشر دار الراية بالرياض.
* تحفة الأشراف للحافظ يوسف المزي، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، نشر المكتب الإسلامي ببيروت.
* تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تعليق إسماعيل الأنصاري، الطبعة الثالثة ١٣٩٦هـ، مؤسسة النور للطباعة بالرياض.
* تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة لعبدالعزيز الحميدي، طبع جامعة أم القرىٰ.
* تفسير الإمام البغوي، مطبوع بهامش تفسير الخازن، الطبعة الثانية عام ١٣٧٥هـ، مطبعة البابي الحلبي بمصر.
* تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، تحقيق محمد إبرهيم البناء وآخرين، طبع دار الشعب.
* تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية، طبع الدار العلمية بدلهي عام ١٤٠٤هـ.
* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للحافظ ابن عبدالبر، تحقيق عبدالله بن الصديق، طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، عام ١٣٩٩هـ.
* التنديد بمن عدد التوحيد لحسن بن علي السقاف، الطبعة الأولىٰ عام ١٤١٢هـ، دار الإمام النووي بعمان بالأردن.

* تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .
* التوحيد لابن منده، تحقيق الدكتور علي الفقيهي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية .
* التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة عام ١٤٠٩هـ، الطبعة السادسة .
* التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين لأبي حامد بن مرزوق، طبع حسين حلمي استمبولي عام ١٣٩٦هـ .
* توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لأحمد بن عيسي، الطبعة الثانية عام ١٣٩٤هـ، نشر المكتب الإسلامي .
* تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ، الطبعة السادسة عام ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي .
* جامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبدالبر، دارالفكر ببيروت .
* الحجة في بيان المحجة لقوام السنة: إسماعيل التيمي، تحقيق المدخلي، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ، دار الراية بالرياض .
* الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدار العربية للنشر والتوزيع ببيروت، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٨هـ .
* درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠١هـ .
* الدرر السنية في الرد على الوهابية لأحمد بن زيني دحلان، الطبعة الرابعة مكتبة الحلبي بالقاهرة عام ١٤٠٠هـ .

* الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبدالرحمن السيوطي، دار الفكر ببيروت ١٩٩٣م .
* دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لعبدالعزيز العبداللطيف، الطبعة الأولىٰ عام ١٤١٢هـ، دار طيبة بالرياض .
* دعوة التوحيد لمحمد هراس، مطبعة الحاج إبراهيم بطنطا .
* الرد علىٰ الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل ضمن عقائد السلف، جمع النشار .
* رد الفصوص المسمىٰ : مرتبة الوجود ومنزلة الشهود لعلي القاري، تحقيق عبدالله علي الملا، رسالة ماجستير في جامعة أم القرىٰ، نوقشت عام ١٤٠٩هـ .
* رد عثمان بن سعيد علىٰ المريسي العنيد ضمن عقائد السلف، جمع النشار .
* زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي .
* سعادة الدارين في الرد علىٰ الفرقتين : الوهابية ومقلدة الظاهرية، المطبعة العامرية بمصر عام ١٣٢٦هـ .
* سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ببيروت .
* سنن أبي داود، تحقيق : عبيد الدعاس وعادل السيد، طبع دار الحديث بحمص بالشام .
* سنن الترمذي، تحقيق : أحمد شاكر ومحمد فؤاد، مطبعة البابي بمصر .
* سنن ابن ماجه، ترقيم محمد فؤاد، دار الفكر ببيروت .
* سنن الدارمي، تحقيق : فواز أحمد وخالد العليمي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولي عام ١٤٠٧هـ .

* السنن الكبرىٰ للنسائي، تحقيق عبدالغفار البنداري، طبع دار الكتب العلمية ببيروت .
* السنن الكبرىٰ للبيهقي، دار الفكر .
* السنة لابن أبي عاصم، تحقيق: الألباني، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الأولي عام ١٤٠٠هـ .
* السنة لعبدالله بن أحمد، تحقيق: د. محمد القحطاني، دار ابن القيم بالدمام، الطبعة الأولىٰ عام ١٤٠٦هـ .
* سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥هـ .
* السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة عام ١٤١٢هـ .
* الشرح والإبانة علىٰ أصول السنة والديانة لابن بطة العكبري، تحقيق: د. رضا نعسان، نشر المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة عام ١٤٠٤هـ .
* شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، الطبعة الأولىٰ عام ١٤١٥هـ، نشر دار طيبة بالرياض.
* شرح صحيح مسلم للنووي، الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ، نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت .
* شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة السادسة عام ١٤٠٠هـ.
* شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبدالله الغنيمان، الطبعة الأولىٰ عام ١٤٠٥هـ، توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة .
* شفاء العليل لابن القيم، تحقيق: أحمد بن صالح الصمعاني، رسالة دكتوراة في جامعة الإمام، نوقشت عام ١٤١٤هـ .

* الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر.
* الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٢هـ.
* صحيح الكلم الطيب لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي.
* صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية بإستانبول عام ١٩٨١م.
* صحيح سنن ابن ماجة للألباني، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٨هـ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.
* صحيح سنن أبي داود للألباني، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩هـ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي.
* صحيح سنن الترمذي للألباني، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ، نشر مكتب التربية، توزيع المكتب الإسلامي.
* صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت.
* الصلاة وحكم تاركها لابن قيم الجوزية، تحقيق: تيسير زعيتر، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ.
* الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق: د. علي الدخيل الله، نشر دار العاصمة بالرياض، الطبعة الثانية عام ١٤١٢هـ.
* العبادة لعبدالرحمن المعلمي، مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم ٤٧٠٦.
* العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي، تعليق الألباني، طبع المكتب الإسلامي.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للنشر ببيروت، الطبعة الثانية .
* فتح الباري لابن حجر، الطبعة السلفية .
* فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله عباس، طبع جامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة عام ١٤٠٣هـ، الطبعة الأولىٰ، توزيع مؤسسة الرسالة ببيروت .
* القواعد الحسان لتفسير القرآن لعبدالرحمن السعدي، مكتبة المعارف بالرياض، عام ١٤٠٠هـ .
* القول السديد في مقاصد التوحيد لعبدالرحمن السعدي، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٤هـ .
* القول السديد في الرد علىٰ من أنكر تقسيم التوحيد لعبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة، الطبعة الأولىٰ عام ١٤١٤هـ .
* كشف الارتياب عن أتباع محمد بن عبدالوهاب لمحسن الأمين العاملي، مطبعة ابن زيدون بدمشق عام ١٣٤٦هـ .
* لسان العرب لابن منظور، نشر دار صادر ببيروت .
* مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، جمع وترتيب ابن قاسم، الطبعة الأولىٰ عام ١٣٩٨هـ .
* مجموع الزوائد ومنبع الفرائد للهيثمي، دار الكتاب العربي، ببيروت، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٢هـ .
* مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، اختصره محمد الموصلي، نشر إدارات البحوث بالسعودية .

* مختصر صحيح مسلم لعبدالعظيم المنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ، المكتب الإسلامي.
* مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي عام ١٣٧٥هـ، مطبعة السنة المحمدية بمصر.
* المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لإبراهيم البريكان، دار السنة للنشر والتوزيع بالخبر، الطبعة الثالثة عام ١٤١٥هـ.
* مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لعبدالمؤمن البغدادي، تحقيق: البجاوي، طبع البابي، الطبعة الأولى عام ١٣٧٣هـ.
* المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للذهبي، دار الفكر ببيروت ١٣٩٨هـ.
* معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس تحقيق: عبدالسلام هارون، دارالفكر عام ١٣٩٩هـ.
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضع: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر.
* المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لمجموعة من المستشرقين، مطبعة بريل في لندن عام ١٩٥٥م.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي ببيروت.
* مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي المالكي، نشر دار الإنسان بالقاهرة، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.
* مقدمة عن قضية التوحيد بين الدين والفلسفة لمحمد السيد الجليند، مطبوعة مع كتاب: التوحيد لابن تيمية، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ.
* المنحة الإلهية في رد الوهابية لداود بن سليمان بن جرجيس، مكتبة

الحقيقة، بإستانبول عام ١٤٠٣هـ .
* منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله، للدكتور: ربيع المدخلي، نشر الدار السلفية بالكويت، الطبعة الأولىٰ عام ١٤٠٦هـ .
* منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٠٦هـ .
* موطأ الإمام مالك، رواية يحيىٰ بن يحيىٰ، إعداد أحمد عمروش، دار النفائس، الطبعة الثانية عام ١٣٩٧هـ .
* مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .
* نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، تصحيح الفردجيوم .
* النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزواوي والطناحي، نشر المكتبة العلمية ببيروت .
* النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد، الطبعة الأولىٰ، دار الخلفاء الكويت عام ١٤٠٤هـ .

* * *

فهرس الموضوعات

توزيع :
مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان
الرياض : ١١٤٣١ ـ ✉ ١٤٠٥
☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس : ٤٠٢٣٠٧٦